الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحي –جيجل–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنـوان:

تداوليـة الأفعـال الكلاميـة في سـورة طـه

مذكرة مكملة لنيل متطلبات شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عربيـــــة

إعداد الطالبتين:

– سهام لبـــادة

– ساسية بلحلو

إشراف:

أ. عثمـان لالوسي

أ.وداد حـــلاوي	جامعة جيجل	رئيسـا
أ. عثمـان لالوسي	جامعة جيجل	مشرفـا
أ. بلال لعفيـــون	جامعة جيجل	ممتحـنا

السنة الجامعية: 2019–2020

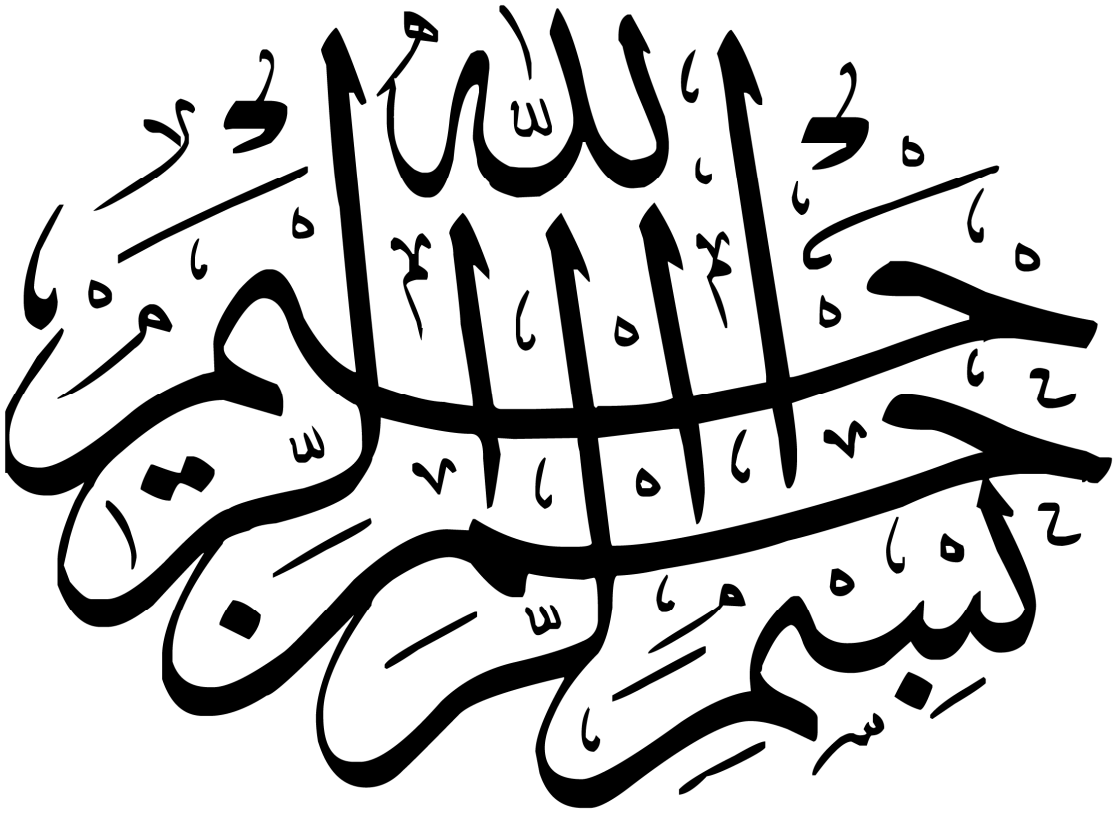
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

تُعدّ التّداوليّة من أبرز المباحث اللّغوية الحديثة الّتي إستطاعت أن ترسُم حُدودًا واضحة على خارطة البحث اللّسانيّ المعاصر، حيث تطوّرت في سبعينيات القرن الماضي، فإختصّت بتقصّي كيفيّة تفاعُل البُنى والمكوّنات اللّغويّة مع عوامل السّياق؛ أي دراسة اللّغة في علاقتها مع مُستعمليها، بالتّركيز على العوامل الخارجيّة الّتي أقصتْها اللّسانيات الوصفيّة في دراسة اللّغة؛ حين إكتفت بحصر دراسة اللّغة في الكشف عن مُكوّنات البنية اللّغوية، فإهتمّت التّداولية –عمومًا– بكُلّ أشكال التّفاعُل الخطابيّ عند مُستعمليها، ودراسة المعطيات اللُّغوية والخطابيّة المتعلّقة بالأداءات الكلاميّة المشكّلة للعمليّة التّواصُليّة بكُلّ أبعادها النّفسيّة والإجتماعيّة، والإيديولوجيّة؛ وذلك من خلال مباحثها الرّئيسية الّتي تتمثّل في: الإشاريات، الإستلزام الحواريّ، أفعال الكلام، نظرية الملاءمة، والحجاج.

وتقع نظريّة الأفعال الكلاميّة في موقع متميّز من هذا التّيار اللّغويّ الجديد، بإعتبارها تُشكّل جُزءًا أساسيّا ونواة مركزيّة في أغلب البُحوث والدّراسات التّداولية، شهدت أوجّ تطوّرها مع فيلسوفي اللّغة "ج. أوستن" و"ج. سيرل"، وكان مجالها دراسة الأفعال الكلاميّة وما تُؤدّيه من إنجاز، وتأثير، وإبلاغ؛ بوصفها تُمثّل البنية الصّغرى الّتي ينبغي تحليلها والوقوف على طبيعتها ومُكوّناتها قبل الإنتقال إلى البنية الكُبرى الّتي تتمثّل في مُختلف أنواع الخطابات والتّبادُلات الكلاميّة.

مناط الدّراسة في هذا البحث هو إستثمار مفاهيم الأفعال الكلامية في تحليل الخطاب القرآنيّ،ومنه جاء موضوع الدّراسة متعلّقًا بتوظيف هذه الأخيرة في (سورة طه) من أجل معرفة الأفعال الكلامية الواردة في خطاب هذه السّورة بمختلف أنواعها من خبر وإنشاء. وفي هذا الإطار يندرج موضوع البحث على نحو ما هو مُجسّد في العنوان الآتي: "تداوليّة الأفعال الكلاميّة في سورة طه".

وينطلق بحثنا هذا من إشكالية محوريّة مفادها التّساؤل عن كيفية الكشف عن الأبعاد التّداوليّة في الخطاب القرآنيّ من خلال نظريّة الأفعال الكلاميّة؟ وما مدى كفاية المنهج التّداوليّ ونجاعته في تحليل الأسلوب القرآنيّ؟

تنبثق عن هذه الإشكاليّة مجموعة من التّساؤلات الفرعيّة الّتي تُعين في مُعالجة إشكالية البحث، وهي:

–ما مفهوم التّداوليّة؟ وما هي أبرز أُسُسها؟ وما مجال إشتغالها؟

–هل إستطاع البحث التّداوليّ رسم معالم وُجوده وتفوُّقه في ساحة الدّرس اللّغويّ المعاصر؟

–ما مضمون نظريّة الأفعال الكلاميّة؟ وما أهمّ مُنطلقاتها؟

-هل يتحقّق إنجاز اللّغة وفق نظريّة أفعال الكلام؟

-كيف تجلّت هذه النّظريّة عند عُلماء العرب؟

-وكيف تتجسّد الأفعال الكلامية في الخطاب القرآنيّ عمومًا، وفي سورة (طه) خصوصًا؟

-ما أبرز الدّلالات الّتي تضمّنتها أفعال الكلام في سورة (طه)؟

أمّا عن سبب اِختيار الموضوع فيكمُن في رغبتنا البحث في هذا المجال، وقلّة الدّراسات المهتمّة بتطبيق آليات أفعال الكلام على الخطاب القرآنيّ من جهة، وإثراء رصيدنا المعرفيّ من جهة أخرى، وإسقاط هذا المفهوم التّداوليّ على سورة (طه)؛ من خلال تقصّي الأفعال الكلاميّة الواردة فيها ودراستها وصْفًا وتحليلا.

وقد اِعتمدنا في هذه الدّراسة على المنهج الوصفيّ التّحليليّ الّذي يستند أساسًا على آليات المنهج التّداوليّ كون الدّراسة قائمة على أساس البحث في سياقات الخطاب ومقاصد المتكلّم؛ من خلال الوقوف على الأفعال الكلامية الواردة في السّورة وتحليلها لُغويا (تداوليا). وتكمُن أهميّة الموضوع في كون الخطاب القرآنيّ خطابًا خصبًا وثريّا من حيث المعاني المباشرة والضّمنية على اِختلاف وتنوّع سياقات الخطاب الّتي نزل وفقها، وترمي الدّراسة إلى بيان مدى فاعلية هذا المنهج (التّداوليّ) في الكشف عن الخصائص الخطابيّة في تحليل الخطاب عُمومًا، والخطاب القرآنيّ خُصوصًا.

اِختلفت البُحوث والدّراسات حول هذا الموضوع (الأفعال الكلامية)، فمنها ما كان في إطار علاقتها بسياق الحال، ومنها ما اِختصّ بالبحث في حضورها وتجلّياتها في التّراث، ومنها ما تعلّق بالخطاب القرآنيّ؛ وقد جاءت دراستنا هذه للبحث فيما يتعلّق بحضور الأفعال الكلامية في الخطاب القرآنيّ. ومن بين الدّراسات السّابقة الخاصّة بالتّداوليّة وأفعال الكلام في الخطاب القرآنيّ، نذكر ما يلي:

-الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة) – دراسة تداولية- ل"محمد مدور" (أطروحة دكتوراه).

-الأفعال الكلاميّة في سورة الكهف - دراسة تداوليّة - ل" آمنة لعور" (مذكّرة ماجستير).

-الأبعاد التّداوليّة في الخطاب القرآنيّ - سورة البقرة أنموذجا– ل"عيسى تومي" (مذكّرة ماجستير).

وللإحاطة بجوانب الموضوع، قسّمنا البحث إلى ثلاث فصول مع مقدّمة وخاتمة حول ما تمّ التّوصُّل إليه، وهي مُلخّصة كالآتي:

الفصل الأوّل: المعنون ب: مفاهيم التّداوليّة وأسسها؛ وهو دراسة نظريّة جاءت في مبحثين:

-يتضمّن المبحث الأوّل البحث في التّداوليّة تعريفًا ونشأة وتطوُّرًا، مع تحديد موضوعها أو مجال اِشتغالها وأهمّيتها.

-أمّا المبحث الثّانيّ فيُركّز على بيان نظرياتها، ودرجاتها، وعلاقتها بالعلوم الأخرى.

الفصل الثّانيّ: الموسوم ب: نظرية أفعال الكلام، وهو أيضا دراسة نظريّة جاءت هي الأخرى في مبحثين:

-أمّا المبحث الأول فاِهتمّ بدراسة الأفعال الكلاميّة من حيث مفهومها، نشأتها وتطوّرها، وبيان أنواعها.

-في حين اِختصّ المبحث الثّانيّ بالتّأصيل لهذه النّظرية في منظومة البحث اللّغويّ الغربيّ المعاصر مع مُؤسّسيها "ج. أوستن" و "ج. سيرل"، وبيان تجلّياتها في التّراث اللّغويّ العربي.

الفصل الثّالث: يُمثّل دراسة تطبيقيّة لأفعال الكلام في سورة (طه)، والّذي جاء في مبحثين:

-المبحث الأوّل متضمّنه البحث في رحاب السّورة؛ من خلال التّعريف بها، وبيان فضلها وتسميتها، والأغراض والقصص الواردة فيها بالنّظر إلى سياقاتها.

-ويختصّ المبحث الثّانيّ الّذي يعتبر لبّ الدّراسة ولبنتها بالبحث في تجلّيات الفعل الكلاميّ في السّورة (طه)؛ من خلال التّركيز على مُؤشّرات الإنجاز ودلالات الاِستلزام فيها، وبيان تقسيماتها (الأفعال الكلامية) وفق تقسيم "سيرل".

وذُيّل البحث بخاتمة تضمّنت النّتائج المحصّل عليها من هذه الدّراسة.

وقد اِعتمدنا بالبحث فيما اِحتوته هذه الفصول على مجموعة من المصادر والمراجع، أهمّها:

-نظرية أفعال الكلام العامّة لجون أوستين؛ الّذي أفادنا في التّأصيل لنظرية أفعال الكلام العامّة من خلال الوقوف على أهمّ أفكار مؤسّسها ورائدها الأوّل "جون أوستين".

-تفسير التّحرير والتّنوير لمحمد الطاهر بن عاشور؛ والّذي اِعتمدناه في بيان تفسير مختلف آيات السّورة، والوقوف على أهمّ الأغراض والمعاني الّتي جاءت بها الأفعال الكلامية.

واجهنا في بحثنا هذا بعض الصّعوبات الّتي يُمكن أن تُواجه أيّ باحث، من بينها: صعوبة الظّروف في (ظلّ جائحة كورونا)، وقلّة الدّراسات التّطبيقيّة في مجال اللّسانيات التّداوليّة الّتي يُمكن أن تخدم هذا البحث، ولكن رغبتنا البحث في هذا المجال الحديث لإثراء معارفنا حوله كانت أقوى من كلّ هذا.

وفي الأخير نحمد الله تعالى الّذي وفّقنا في عملنا هذا، ونرجو أن نكون قد أصبنا فيما سعينا إلى توضيحه، كما نأمل أن تكون دراستنا هذه حافزًا لدراسات أخرى، ونتقدّم بجزيل عبارات الشكر والتقدير والإمتنان لمشرفنا الفاضل الأستاذ "لالوسي عثمان" الذي لم يبخل علينا بملاحظاته وتوجيهاته القيّمة الّتي نوّرت هذا البحث. فحسبنا أننا حاولنا، فإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان، وإن أصبنا فبتوفيق من الله، ولله الحمد.

الفصل الأول

مفاهيم التّداوليـة وأسسها

المبحث الأول: التداولية بين المفهوم والنّشأة

المبحث الثاني: التداولية (نظرياتها، درجاتها، وعلاقتها بالعلوم الأخرى)

المبحث الأول : التداولية بين المفهوم والنشأة

تعتبر التّداولية من أبرز المباحث اللّغوية الّتي اِهتمّت بدراسة اللّغة في الاِستعمال، بالتّركيز على عناصر العمليّة التّواصلية (المخاطِب، المخاطَب، السّياق)، وسنتطرّق في مبحثنا هذا إلى التّعريف بهذا التّيار الحديث النّشأة، وبيان أهمّ الحقول الّتي اِستمدّ منها أصوله الأولى.

المطلب الأول: تعريفها

أ– لغة:

يرجع مصطلح التداولية إلى الجذر اللّغوي (د.و.ل) الذي لا تخرج معانيه عن التّبدل والتّحول.

يُعرّفها "الخليل" في مُعجمه {العين } بقوله : **"دَوَلَ:الدُّولَةُ والدَّوْلَة لُغتان، ومنه الإدالة، قال الحجّاج: إنّ الأرض ستُدالُ منّا كما أَ دلْنا منها، أي نكُون في بَطْنِها كما كُنّا على ظهْرِها".**[1]

أمّا "ابن فارس" في مُعجمه {مقاييس اللّغة} فيُعرّفُها بقوله: **"دَوَلَ: الدّال والواو واللّام أصلان: أحدُهما يدُلّ على تحوُّل شيء من مكان إلى مكان، والآخر يدُلّ على ضَعْفٍ واسْترخاء. فأمّا الأوّل فقال أهل اللّغة: اِنْدَالَ القوْمُ، إذا تَحَوَّلُوا من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب تَدَاوَلَ الْقَوْمُ الشّيء بيْنهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض، والدَّوْلَةُ والدُّولَةُ لُغتان، ويُقال بل الدَّوْلَةُ في المال والدَّوْلَةُ في الحرب، وإنّما سُمِّيا بذلك من قياس الباب، لأنّه أمْرٌ يتَدَاوَلُونَه، فيَتَحوّل من هذا إلى ذاك ومن ذاك إلى هذا. وأمّا الأصل**

[1]– الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين: معجم لُغوي تُراثي، تر ومُرا: داود سلّوم وداود سلمان العنبكي وإنعام داود سلّوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت–لبنان، ط1، 2004، مادة (دَ.وَ.لَ).

الآخر فالدَّوِيلُ من النّبْتِ: ما يَبِس لعامه، قال أبو زيد: دَالَ الثَّوْبُ يَدُولُ، إذا بَلِيَ، وقد جَعَل [وُدُّه] يَدُولُ، أي يَبْلَى، ومن هذا الباب اِنْدَالَ بَطْنُه، أي اِسْتَرْخَى".[1]

وجاء تعريفها في مُعجم {أساس البلاغة} "للزمخشري" كما يلي: **"دَوَلَ: دَالَت له الدَّوْلَةُ. ودَالَت الأيّامُ بكذا. وأَدَالَ الله بني فُلان من عدُوِّهم: جَعَلَ الكَرَّةَ لَهُم عليه".**[2]

ما يُلاحظ حول هذه التعاريف تعدُّد المعاني اللُّغوية لمصطلح التّداوُليّة، إلّا أنّها تتّفق جميعها حول معنى واحد وهو التّحوُّل والتّبدُّل من حالٍ إلى حال أخرى حسّيّا ومَعنويًا.

ب- **اصطلاحا:**

تُعدّ التّداوليّة فرعًا علميا حديث النّشأة استمدّ أصوله من مجموعة من العلوم المعرفيّة الّتي تختصّ بتحليل عمليات الكلام، ووظائف الأقوال اللّغويّة. حيث جعل "شارل موريس" التّداوليّة أحد أهمّ مُكوّنات اللّغة الثّلاثة، وذلك في تقسيمه الثّلاثي حول دراسة اللّغات والإحاطة بها عام (1938م)، حيث جاء في كتاب{المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب}تعريف التّداوليّة على أنّها: " تُحيل على مُكوّن من مُكوّنات اللّغة إلى جانب المكوّنين الدّلاليّ والتّركيبيّ، وهذا المكوّن التّداوليّ اِنبثق عن التّقسيم الثّلاثيّ المدشّن من قبل الفيلسوف الأمريكيّ "ش. موريس" في (1938م) الّذي ميّز مجالات ثلاثة في الإحاطة بأيّة لُغة سواء أكان صُوريا أو طبيعيا".[3] حيث انبنى هذا التّقسيم على ما يلي:

التّركيب: يختصّ بدراسة العلاقات بين البنيات (داخل التّركيب).

الدّلالة: ما تُحيل عليه الأشياء في الخارج.

التّداوليّة: تدرُس اللّغة عند مُستعمليها.

---

[1]- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللّغة، ج1، تحق: إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 2008، مادة (د.و.ل).

[2]- جار الله محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تحق: مزيد نعيم وشوقي المعرّي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، ط1، 1998، مادة (د.و.ل).

[3]- يُنظر: دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت-لبنان، ط1، 2008، ص100، 101.

وقد ورد تعريفها في {القاموس الموسوعيّ للتّداوليّة} بأنّها: " دراسة اِستعمال اللّغة مُقابل دراسة النّظام الّذي تُعنى به تحديدًا اللّسانيات".[1] أي أنّها تتجاوز البنية التّركيبيّة الشّكليّة إلى البحث في السّياقات اللّغويّة المختلفة، وتبني تصوُّرها على التّقسيم الثّنائي "لدوسوسير"، حيث اِهتمّت بالعنصر الثّاني المتمثّل في الكلام، بعد أن أهمله "دوسوسير" الّذي ركّز مجال اِشتغاله (اللّسانيات) على الجانب الشّكليّ للّغة (الخطاب).

ونجد للسّياق أثرًا في حدّ مُصطلح التّداوليّة واِستعمال اللّغة، إذ إنّها تُمثّل: " دراسة اللّغة في الاِستخدام، من حيث كيفية إخراجها وتفسيرها في السّياق، ويُعنى علم التّخاطُب بفهم التّفكير (غير اللّغوي)، والّذي يَحمل معاني وتفسيرات أخرى للكلام".[2] فهي إذن تهتمّ بتحليل التّخاطُبات (كمُؤثّرات أو مُكوّنات تداوليّة) وتفسيرها اِستنادًا إلى السّياق وما يتّصل به.

وهي علم يبحث في كيفية إنتاج المتكلّم أفعالا تواصُليّة في سياقات ومقامات مُتعدّدة، وهذا ما جاء في كتاب{النّظرية البراجماتيّة اللّسانية التّداوليّة} ل: "محمود عكاشة" الّذي قال بأنّ: " التّداوليّة تتجاوز البنية الخطابية السّطحية إلى تقنية التّواصُل والسّياق والقصد، وتدرُس كيفيّة إنتاج المتكلّم فعلا تواصليا أو فعلا كلاميا في إطار موقف كلاميّ ملموس ومُحدّد، وفهمه وتفسيره".[3]

ويقترب "نعمان بوقرة" في كتابه{المصطلحات الأساسية في لسانيات النّص وتحليل الخطاب} من تعريف سابقيه لهذا العلم حديث النّشأة، حيث يمضي في جعلها " جُزءًا من السّيميائية الّتي تُعالج العلاقة بين العلامات ومُستعملي هذه العلامات، فهي تُعنى بدراسة اِستعمال اللّغة في الخطاب، شاهدةً في ذلك على مقدرتها الخطابية،

[1]– جاك موشلر وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتّداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف: عز الدّين المجدوب، مرا: خالد ميلاد، دار سيناترا، تونس، د ط، 2010، ص21.

[2]– جون سوان وآنا ديوميرث وآخرون، معجم اللّغويات الاِجتماعية، تر: فوّاز محمّد الرّاشد العبد الحق وعبد الرّحمن حسني أحمد أبو ملحم، دار وُجوه، الرياض–السعودية، ط1، 2019، ص310.

[3]– محمود عكاشة، النّظرية البراجماتية اللّسانية (التّداولية): دراسة المفاهيم والنّشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة–مصر، ط1، 2013، ص21.

فهي إذن تهتمّ بالمعنى كالدّلالة وبعض الأشكال اللّسانية".[1] فهي إذن بِاعتبارها أحد أجزاء السّيميائية الثّلاثة إضافة إلى كلّ من التّركيب والدّلالة، ينصبّ اِهتمامها، أو مدار اِشتغالها الإستعمال اللّغويّ.

وهناك من اِعتبرها " طريقة لتأويل الأقوال والعبارات والملفوظات، بما أنّها تبحث في المعنى بوصفه السّياق الّذي يتحوّل من خلاله قَصْدٌ ومنطوق إلى فعلٍ للكلام وإنجاز له".[2] ذلك أنّها تهتمّ بمعالجة الملفوظات وتأويلها وتفسيرها اِنطلاقا من السّياقات المصاحبة لها.

نستخلص من التّعاريف السّابق ذكرها أنّ التّداوليّة هي الدّراسة الّتي تُعنى باللّغة في الإستعمال، وتهتمّ بقضية التّلاؤم بين التّعابير الرّمزية والسّياقات المرجعيّة والمقامية، وهي تيّار معرفيّ حديث النّشأة جاء ليهتمّ بما أغفلته النّظريات اللّسانية البنيوية الّتي أقصت المؤثّرات الخارجية (السّياق) في دراستها للّغة، بجعل هذه الأخيرة – اللّغة– وحدة مُغلقة تُدرس في ذاتها ولأجل ذاتها، إذ إنّها أعادت الإعتبار للسّياق من خلال ربط الملفوظات بالظّروف الخارجية لكُلّ من المتكلّم والكلام، فتكون بذلك قد تجاوزت في دراستها الشّكل والصّورة إلى المضمون والمعنى المتعلّق بالسّياق وأطرات الفعل التّخاطبيّ.

نُلاحظ أنّ التّعريف الإصطلاحيّ لمصطلح التّداوليّة جاء مُكمّلا للتّعريف اللّغوي، ذلك أنّه يُمكن اِستثمار التّعريف اللّغويّ في الدّلالة على أنّنا عندما نتعامل مع الخطاب نُدرك أنّه يختلف معناه بحسب سياقه، فهو مُتبدّل ومُتغيّر من حال إلى حال بحسب المؤثّرات الدّاخلية والخارجية الّتي تمنحُه قيما تداولية تختلف بِاختلاف مُستعملي اللّغة في مقاصدهم.

[1]– نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدارا للكتاب العالمي، عمان–الأردن، ط1، 2009، ص97.

[2]– عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة: مُقاربة حجاجية للخطاب الفلسفيّ، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر العاصمة– الجزائر، ط1، 2009، ص73.

المطلب الثّاني: نشأتها وتطوّرها

اِستطاعت التّداولية أن تُطوّر من مباحثها وتنفرد بمكانة خاصّة في ساحة الدّرس اللّغوي الحديث؛ اِنطلاقًا من اِستفادتها من مباحث العديد من العلوم العلميّة والمعرفيّة ذات الصّلة باللّغة، ونوضّح ذلك أكثر فيما يأتي.

أ-النّشأة:

اِختلف الدّارسون في أصل التّداوليّة هل هي درس لسانيّ أم لا، حيث برزت للوجود مع مُنتصفات القرن العشرين، وقد كانت في بداية الأمر " جزءًا من السّيميائيّة الّتي تُعالج العلاقة بين العلامات ومُستعملي هذه العلامات، والّتي ترتكز على ثلاث مُكوّنات هي: علم التّركيب، وعلم الدّلالة، وعلم البراغماتيّة*".[1] فعلم التّركيب يختصّ بدراسة الخصائص الشكلية للبناءات اللّغوية، أمّا علم الدّلالة فموضوع اِشتغاله المعنى، حيث يدرس العلاقات بين الدّوال والمدلولات أو الألفاظ اللّغوية ومعانيها، في حين تنصبّ الدّراسة البراغماتية على الغوص في دائرة المعاني، مع الأخذ بعين الاِعتبار سياقات الخطابات والعناصر المكوّنة لها. وكُلّ هذه الأعمدة الثّلاثة مجال البحث السّيميولوجيّ.

نمت التّداوليّة وتطوّرت من خلال اِستفادتها من حقول معرفية متعدّدة ساعدتها على أن تكون نظرية مُؤثّرة في الدّرس اللّغويّ المعاصر، " وما كان لدرس معرفيّ غزير كالدّرس التّداوليّ المعاصر مصدر واحد اِنبثق منه، ولكن تنوّعت مصادر اِستمداده؛ إذ كان لكلّ مفهوم من مفاهيمه الكبرى حقل معرفيّ ينحت منه مادّته العلميّة

* الذرائعية (البراغماتية): مبدأ تأسس من خلال أعمال "وليام جيمس" (w.James) و"جون ديوي" (J.Dewey)، و"بيرس" (Pierce)، وهو يقرر أن الدّليل على الحقيقة هو فعالياتها ونجاح الفعل في التحصيل على نتيجة مفيدة، والذرائعية في المعرفة هي القول بأنّ حقيقة القانون العلمي أو القاعدة العلمية لا تكون إلا عند تطبيق هذه القاعدة أو هذا القانون في ظروف علمية، فالمعيار الوحيد للحقيقة هو إذن فعاليتها ونجاحها.جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، دط، دت، ص207.

– تعددت تعريفات التداولية، وكان لهذا التعدد أثره في ترجمة المصطلح إلى اللغة العربية: فقد ترجم إلى الذرائعية، والمقصدية، والمقامية، والتداولية، والتداولية أكثرها شيوعا وأقربها إلى طبيعة البحث فيها، إذ هو منظور فيه إلى "تداول" اللغة بين المتكلم والمخاطَب الذي يدل على التفاعل الحي بينهما في استعمال اللغة.محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، دط، 2002، ص52.

[1] – يُنظر: فرانسوازأرمينكو، المقاربة التّداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، دط، دت، ص36.

وتصوّراته عن اللّغة والتّواصل اللّغويّ؛ فالأفعال الكلامية مثلا مفهوم تداولي مُنبثق من مناخ فلسفي عام هو الفلسفة التّحليلية بما اِحتوته من مناهج وتيّارات وقضايا، وهو أوّل مفهوم تداولي اِنبثق إلى الوجود، وكذا مفهوم نظرية التّخاطب الّذي اِنبثق من الفلسفة الحديثة، ومن فلسفة "بول غرايس"(Paul Grice) تحديدا...".[1]

وبهذا شكّلت التّداوليّة مُلتقى علميا ومعرفيا، وأضحت حلقة وصل هامّة بين مُختلف العلوم على اِختلاف أصولها وتوجّهاتها.

يكاد يُجمع الدّارسون على أنّ أهمّ الرّوافد المؤثّرة في بُروز التّداوليّة هي الفلسفة التّحليلية " وبما أنّ الفلسفة التّحليلية هي الينبوع المعرفيّ الأوّل لأوّل مفهوم تداولي وهو الأفعال الكلامية، فقد بات ضروريا التّعريف بهذا التّيار الفلسفيّ وبمُختلف اتّجاهاته واهتماماته وقضاياه، لأنّه يُجسّد الخلفية المعرفيّة والمحضن لنُشوء الظّاهرة اللّغوية موضوع الدّراسة".[2]

ظهرت الفلسفة التّحليلية في العقد الثّاني من القرن العشرين مع مجموعة من الفلاسفة والمفكّرين الغربيين أمثال: "فريجه"، و"فتجنشتاين"، و"رسل" وغيرهم ممّن اِهتمّوا بدراسة اللّغة آنذاك.

ويُجمل "مسعود صحراوي" مفهوم الفلسفة التّحليلية في جملة من المطالب والاِهتمامات تتلخّص في ثلاثة نقاط، هي:[3]

1-الاِبتعاد عن أساليب البحث الفلسفية القديمة الّتي تُركّز على الجوانب الميثافيزيقية.

2-تغيير مدار الاِهتمام الفلسفيّ من موضوع "نظريّة المعرفة" نحو موضوع "التّحليل اللّغوي".

---

[1]- حافظ إسماعيلي علوي، التّداوليات علم استعمال اللّغة، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط2، 2014، ص32.

[2]- حافظ إسماعيلي علوي، المرجع نفسه، ص33. نقلا عن:

FrancoisRecanati- Naissance de le pragmatique dans : Quand dire c est faire-(postface). P185.

[3]- يُنظر: مسعود صحراوي، التّداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللّساني العربي، دار الطّليعة، بيروت-لبنان، ط1، 2005، ص21،22.

3-التّجديد والدّراسة المعمّقة لبعض المباحث اللّغوية، وخاصّة مبحث "الدّلالة" وكلّ الظّواهر اللّغوية المرتبطة به.

وعليه فإنّ هذه الأخيرة تبحث في الإشكالات والموضوعات الفلسفيّة واللّغوية على أساس علميّ، و" تُؤكّد على ضرورة تجاوُز أساليب البحث القديمة الّتي اِتّبعتها الفلسفة الكلاسيكيّة، حيث اِتّخذت اللّغة موضوعا للدّراسة بِاعتبارها أولى الأولويات في أيّ مشروع فلسفيّ، بالاِعتماد على منهج علميّ تحليليّ يقوم أساسا على الخوض في مُختلف المباحث اللّغوية والتّعمّق في فهمها. هذا وقد اِنقسمت الفلسفة التّحليلية إلى ثلاثة فروع أو اِتّجاهات كُبرى، هي:

1- الوضعانية المنطقية Positivisme Logique: بزعامة "رودولف كارناب".

2- الظّاهراتية اللّغوية Phénoménologie du langage: بزعامة "إدموند هوسرل".

3- فلسفة اللّغة العادية Philosophie du langage ordinaire: بزعامة "فيتغنشتاين" ".[1]

ولكُلّ من هذه الاِتّجاهات طرق ووسائل في دراسة مُختلف اللّغات والتّعامل معها، " فهذه الاِتّجاهات الثّلاثة ليست كلّها ذات منهج وظيفي تداولي في دراسة اللّغة؛ فقد خرج التّياران الأوّل والثّاني عن التّداولية بسبب اِهتمام الأوّل باللّغات الصّورية المصطنعة واتّخاذها بديلا عن اللّغات الطّبيعيّة... أمّا الظّاهراتية اللّغوية فيُؤخذ عليها أنّها اِنغمست في البحث في أطر فكرية أعمّ من الكينونة اللّغوية... فلم يبق، إذن، ضمن الاِهتمامات التّداولية، من تلك التّيارات الثّلاثة إلّا تيّار واحد هو تيّار فلسفة اللّغة العادية، الّذي أسّسه الفيلسوف "لودفيغ فيتغنشتاين". والمادة الأساسية للفلسفة عنده هي اللّغة".[2]

نستخلص ممّا سبق أنّه من بين التّيارات الثّلاثة الّتي كانت محلّ اِهتمام الدّرس التّداولي تيّار فلسفة اللّغة العادية؛ ذلك أنّ المادة الأولية والأساسية عنده هي اللّغة، الّتي تُعتبر نواة لدراسة مُختلف القضايا الفلسفية

[1]- يُنظر: مسعود صحراوي، التّداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التّراث اللّساني العربي، ص22.

[2]- يُنظر: المرجع نفسه، ص22،23.

ومُعالجتها. في حين يخرج التّياران الآخران (الوضعانية المنطقية، والظّاهراتية اللّغوية) عن دائرة البحث التّداولي لمخالفة مُنطلقاتهما منطلقات التّداوليّة.

يُلخص "مسعود صحراوي" موقع الإتّجاهات الثلاثة من التّداولية وموقفها منها في الخطاطة أدناه:[1]

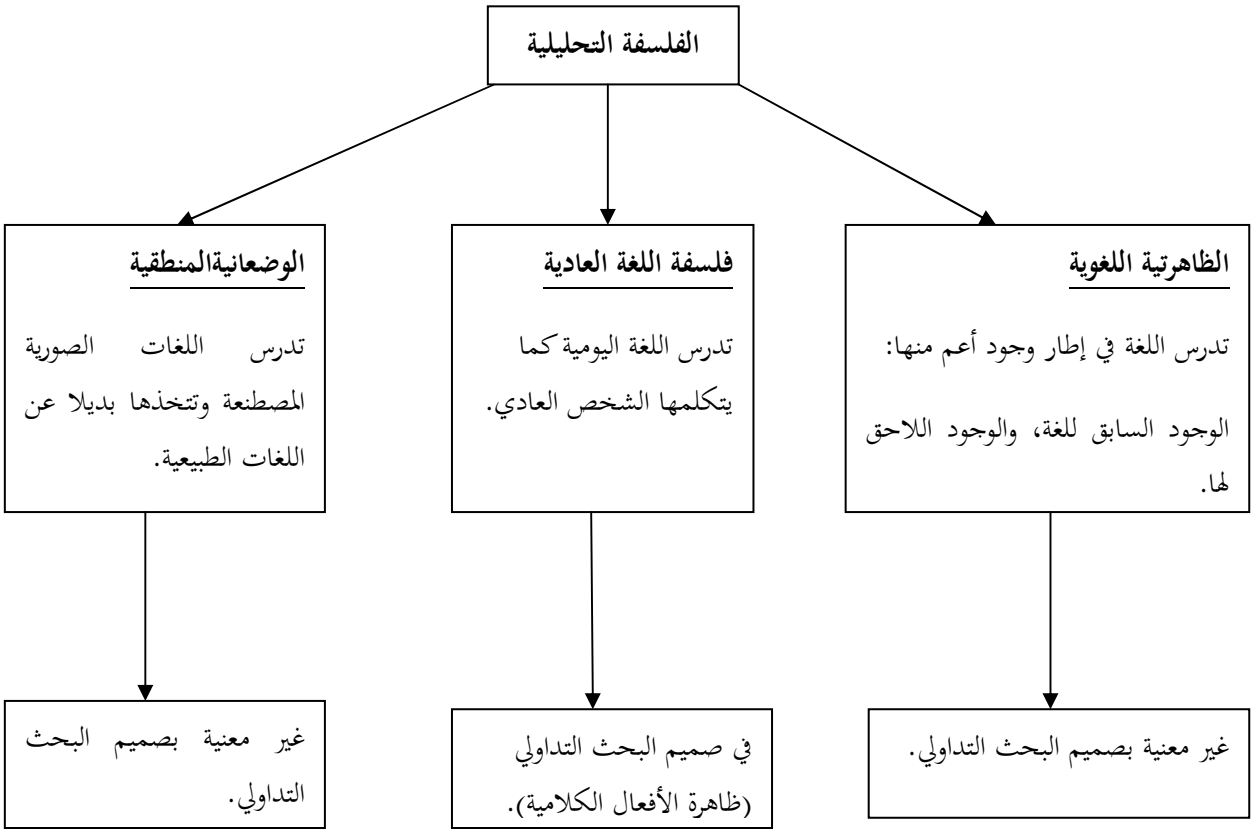

يلاحظ من هذا المخطط أن كلا من الظاهراتيّة اللّغوية، والوضعانية المنطقية لا تدخلان في صميم البحث التداولي، على عكس فلسفة اللغة العادية التي تعد في صميمه؛ تجلّى ذلك فيما بعد عند مساهمتها في التأسيس لنظريّة نظرية أفعال الكلام العامّة.

وعن البدايات الأولى للتّداوليّة، فيمكن تحديد منطلقاتها مع أعمال فلاسفة اللّغة " وبالخصوص في سلسلتي محاضرات قُدّمت بجامعة هارفارد (محاضرات وليم جايمسWilliam James) ألقاها سنة 1955م "جون أوستين"، وألقاها سنة 1967م "بول غرايس"، فقد أدخل "أوستين" في سلسلة محاضراته المخصّصة للفلسفة

[1]– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللّساني العربي، ص24.

مفهوما سيُصبح محوريا في التّداولية وهو مفهوم العمل اللّغوي، مُدافعا بذلك عن الفكرة القائلة بأنّ اللّغة في التّواصل ليس لها أساسا وظيفة وصفية، بل لها وظيفة عملية".[1] وبالتّالي عُدّ كلّ من "أوستين" و"غرايس" من رواد هذا المنهج الجديد في دراسة اللّغة، الّذي يُركّز بشكل كبير على عُنصر السّياق في تحليل وفهم الخطابات أو الملفوظات. " ولكنّ محاضرات "غرايس" بالتّوازي مع ذلك، كانت مُحدّدة بالقدر نفسه، فقد بيّن في مُحاضراته أنّ اللّغة الطبيعية لم تكن، كما اِعتقد، عصرئذٍ، المناطقة والفلاسفة التّحليليون ناقصة. ولكنّ العلاقات المنطقية الّتي تُوظّفها الأقوال عند التّواصل (خصوصا منها علاقات الاِستلزام والاِستدلال) كانت محكومة بمبادىء أو قواعد مُؤسّسة على تصوّر عقلاني للتواصل".[2] وفي هذا تأكيد من "غرايس" على أنّ اللّغة الطّبيعية محكومة أو قائمة على مجموعة علاقات كلية وجزئية مُرتبطة أساسا بكلّ من الاِستلزام والاِستدلال، يتمّ اِستعمالها أثناء التّواصل، مُصحّحا بذلك التّصوّر الخاطىء للمناطقة والفلاسفة التّحليليون آنذاك الّذين اعتبروا اللّغة ناقصة.

وكان لأعمال "أوستين" و"غرايس" أثر كبير في ظهور أعمال أخرى لا تقتصر على المجال التّداولي فقط، بل تمتدّ لتشمل مجالات أوسع في حقول واختصاصات مُتعدّدة، كاللّسانيات بمختلف توجّهاتها، وعلم النّفس، والمنطق، وغيرها. فقد " أدّت أعمالهما في ظرف وجيز إلى ظهور دفق من الأعمال ذات أصول علمية مُتعدّدة التّوجّهات، مثل: فلسفة اللّغة، واللّسانيات، والمنطق، وعلم النّفس العرفاني، واللّسانيات النّفسية، والاِجتماعية، والذّكاء الاِصطناعي.ولم تُمكّنا هذه الأعمال من التّقدّم خطوات عملاقة في المعرفة الّتي لدينا عن اِشتغال اللّغات الطّبيعية فحسب، بل كان لها أيضا اِنعكاس كبير على معمار اللّسانيات، ويسّرت بالخصوص بيان الصّلات على

[1]- يُنظر: جاك موشلر وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتّداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف: عز الدّين المجدوب، مرا: خالد ميلاد، دار سيناترا، تونس، دط، 2010، ص21،22.

[2]- يُنظر: جاك موشلر وآن ريبول، المرجع نفسه، ص22.

نحو صريح بين بنية اللّغة واستعمالها".[1] ففي هذا تأكيد صريح على اِستفادة التّداولية من حقول معرفيّة مُتعدّدة ساعدتها على أن تكون نظرية لغوية مُؤثرة فيما بعد.

ب–التّطوّر:

اِستفادت التّداولية من علوم: اللّسان، السّيمياء، المنطق، الفلسفة، علم النّفس المعرفيّ، وعلم الاِجتماع، وعلم الاِتّصال، وعلوم أخرى أيضا، حيث تأثّرت فُروعها بهذه الحقول أو العلوم، الّتي اِتّخذت منها قاعدة صلبة لتأسيس مباحثها وتطويرها، وتوسيع مجال اِشتغالها الّذي ينصبّ اِهتمامه على الاِستعمالات المتعدّدة للمتخاطبين.

ونظرًا للنّشأة الثّرية للتّداولية، وأصولها المتينة، فإنّها اِستطاعت أن تُطوّر من مباحثها "ضمن مجموعة من المقاربات اللّغوية من بينها تحليل الحوار Conversation Analysis، وتحليل النّص Texte Analysis، وتحليل الكلام/الخطاب DiscourseAnalysis، بوصفها اِمتدادًا طبيعيا لأطروحات النّحو الوظيفي FunctionalGrammer الّتي طوّرها "هاليداي" 1985م، ومنها إنّ المعنى ليس فيما يقول النّحاة، ولا ما تقول المعاجم، على ما لكليهما من أهمّية، ولا في العمليات المعرفية المجرّدة من سياقاتها، لكن فيما يقصد من يستخدم اللّغة وما يُريد، وفيما يفهم من يتلقّاها، اِستماعا أو قراءة، وفيما ينتج من دلالات من خلال ظروف السّياق".[2] ويعني هذا أنّ التّداوليّة كانت اِمتدادا وتطويرا لما جاء قبلها من نظريات النّحو الوظيفي، مُستلهمة مادّتها من مُختلف المقاربات اللّغوية كتحليل الحوار، وتحليل النّص، وتحليل الخطاب، و المعنى عندها يرجع إلى السّياق اللّغويّ الّذي قيل فيه، وأنّ فهم السّامع أو المتلقّي لهذا الأخير (المعنى) وتأويله وفق دلالات يتمّ نظرا لطبيعة السّياق الّذي ورد فيه، وليس بالاِقتصار فقط على دراسة الجوانب الشّكلية النّحوية والمعجمية.

[1]– يُنظر: جاك موشلر وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتّداولية، 21، 22.

[2]– بهاء الدّين محمّد مزيد، من أفعال اللّغة إلى بلاغة الخطاب السّياسي: تبسيط التّداولية، دار شمس، القاهرة–مصر، ط1، 2010، ص20.

هذا وقد حظيت التّداولية بمكانة خاصّة في ساحة الدّرس اللّغوي المعاصر في العقد السّابع من القرن العشرين " بعد أن قام بتطويرها ثلاثة من فلاسفة اللّغة المنتمين إلى التّراث الفلسفيّ لجامعة أكسفورد هم "أوستين" J.L.Austin، و"سيرل" J.R.Searle، و"جرايس"Grice، وقد كان هؤلاء الثّلاثة من مدرسة فلسفة اللّغة الطّبيعية Natural Language أو العادية Ordinary في مُقابل مدرسة اللّغة الشكلية أو الصّورية FormalLanguage الّتي يُمثّلها "كارناب" Carnap، وكانوا جميعا مُهتمّين بطريقة توصيل معنى اللّغة الإنسانية الطّبيعية من خلال إبلاغ مُرسل رسالة إلى مُستقبل يُفسّرها، وكان هذا من صميم عملهم، وهو من صميم التّداولية أيضا".[1]

وعلى هذا الأساس تمكّن هؤلاء الفلاسفة من تطوير آليات اِشتغال التّداولية مُراعين بذلك البُعد الدّاخلي والخارجي للّغة، حيث اِهتمّوا بالعوامل الخارجية الّتي تتحكّم في عمليّات التّخاطُب.

المطلب الثالث: موضوعها وأهمّيتها

تنحصر الدّراسة التّداولية في معالجة الاِستعمال اللّغوي، وكلّ ما يتّصل به من عناصر تساهم في نجاح العملية التّواصلية، وقد اِستطاعت بالفعل أن تحقّق شوطًا هامًّا في معالجة قضايا محورية مرتبطة في سياقها بالتّواصل الإنسانيّ.

[1]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، دط، 2002، ص9،10.

أ-الموضوع:

إنّ الموضوع الّذي تتناوله التّداوليّة هو الطّريقة الّتي تُؤوّل بها التّراكيب اللّغوية في المقامات المختلفة، والّتي تُستعمل للتّعبير عن غايات مُحدّدة، فالمرسل والمخاطَب والمقام وظروف المقام، وكلّ ما من شأنه إحداث نوع من التّفاعل، له دور كبير في تحديد المعنى الّذي يُعدّ غاية التّواصل. وقد لخّصت مهام التّداولية فيما يلي:[1]

1- دراسة الإستعمال اللّغويّ؛ فهي لا تدرس "البنية اللّغوية" ذاتها، ولكن تدرس اللّغة حين إستعمالها في الطّبقات المقامية المختلفة، أي بإعتبارها "كلامًا مُحدّدا"، صادرا من "متكلّم محدّد" ومُوجّها "لمخاطب محدّد" في "مقام تواصليّ محدّد" لتحقيق "غرض تواصليّ محدّد"؛ فهي تتجاوز دراسة البُنى اللّغوية إلى بيان السّياقات المختلفة الواردة فيها، وما يتّصل بهذه الأخيرة من ظروف، والكشف عن القوانين العامّة الّتي تتحكّم في تحديد دلالاتها المختلفة.

2- شرح كيفية جريان العمليات الإستدلالية في مُعالجة الملفوظات، وذلك بدراسة مبادئ الإستدلال وقواعده؛ الّتي تُمكّن المتكلّم من صياغة وتركيب عباراته اللّغوية. أي تفسير وشرح مختلف الملفوظات مربوطة بسياقاتها المختلفة إنطلاقا من قواعد إستدلالية.

3- بيان أسباب أفضلية التّواصل غير المباشر وغير الحرفي على التّواصل الحرفيّ المباشر؛ من خلال الإهتمام بالسّياق والتّأكيد على العلاقة الوطيدة بين المتكلّم والسّياق الخارجيّ، وبيان مدى تأثيره على مقاصد المتكلّم أثناء العملية التّواصلية، والّذي نجد تمثّلاته على مُستوى مُختلف مباحث التّداولية من مثل أفعال الكلام والإستلزام الحواريّ ومتضمّنات القول...

[1] - يُنظر: مسعود صحراوي، التّداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التّراث اللّساني العربي، دار الطّليعة، بيروت-لبنان، ط1، 2005، ص26،27. وحافظ إسماعيلي علوي، التداوليات علم استعمال اللّغة، عالم الكتب الحديث، عمان-الأردن، ط1، 2011، ص40.

4- شرح أسباب فشل المعالجة اللّسانية البنيوية الصّرف في مُعالجة الملفوظات؛ ذلك أنّ اللّسانيات البنيوية حصرت الدّرس اللّساني في اللّغة المجرّدة بوصفها قدرة ذهنية صرفة(تدرس اللّغة في ذاتها ولأجل ذاتها)، إذ تقتصر دراستها للّغة أو الملفوظات على القدرة اللّغوية دون الكلام، فجاءت التّداولية لتُعيد الإِعتبار لما أغفلته هذه الأخيرة.

ب-الأهمّية:

جاءت التّداولية كمنهج جديد تداخلت وتقاطعت فيه مجموعة من التّخصّصات، حيث يُعنى هذا الأخير بكيفية توظيف المتكلّم للمُستويات اللّغوية المختلفة في سياق مُعيّن، وهذا ما يُبرز أهمّية دراسة اللّغة عند إِستعمالها، ومن ثمّ فهو يدرس مقاصد المتكلّم. وبالتّالي عرضت التّداولية مفهوما واسعا للتّواصل والتّفاعل وشروط الأداء، ولكنّها مع ذلك لا ينبغي مُقابلتها بمجال محدّد، لأنّ نشأتها غير المستقرّة جعلت منها تداوليات عديدة منها: تداولية حقيقية لدى المناطقة، تداولية مقاربة لدى اللّسانيين، وتداولية الإقناع لدى البلاغيين.

وبذلك " حظي الدّرس التّداولي الحديث بإِهتمام كبير، وغدا مجالا خصبا لإثارة قضايا محورية مُرتبطة بالتّواصل الإنسانيّ. ويُعزى هذا الإِهتمام إلى الإِلتباس المصاحب للفظ التّداوليّة، وهو إِلتباس راجع إلى تعدّد مباحثها وتباين روافدها، وإِختلاف وجهات النّظر حول وضعها الإِعتباريّ، كما يُعزى إلى التّقاطع الّذي يُتيحه الدّرس التّداولي بين حُقول معرفية متنوّعة، على نحو جعل التّداولية ملتقى لعدّة تخصّصات، وبهذا كانت التّداولية قد إِستأثرت بإِهتمام الدّارسين، وأضحت حدثا معرفيا مُهمّا خلال النّصف الثّاني من القرن العشرين، تُعقد لأجله النّدوات وتُدبّج حوله الدّراسات والبحوث والمقالات والمجلّات".[1]

[1]- جواد ختام، التّداولية أصولها واتّجاهاتها، كنوز المعرفة، عمان-الأردن، ط1، 2016، ص9،10.

وممّا ساعد التّداولية على إثراء مباحثها اِنفتاحها على مجموعة من الحقول المعرفية، الّتي ساهمت بشكل أو بآخر في إرساء روافدها ومعالمها، وبالتّالي أضحت هذه الأخيرة حلقة وصل هامّة بين مُختلف العلوم والتّخصّصات، ويتأكّد ذلك جليا في القول الآتي: " ما زاد التّداولية أهمّية وثراء اِنفتاحها على روافد معرفية مُختلفة، لسانية وأنثروبولوجية، ونفسية... ساهمت في إغناء هذا الحقل بجملة من المفاهيم والفرضيات، فتحوّلت التّداولية بذلك إلى مُلتقى العلوم والاِختصاصات".[1]

ومنه تمكّنت التّداولية بمشاربها المتعدّدة أن تتّخذ دورًا هامّا في إثراء تحليل الخطابات والنّصوص على اِختلافها، وتنوّعها.

[1]- جواد ختام، التّداولية أصولها واتّجاهاته، ص23،24.

المبحث الثّاني: التّداولية (نظرياتها، درجاتها، وعلاقتها بالعلوم الأخرى)

يقوم المنهج التّداوليّ على البحث وفق خمس أسُس تداوليّة كبرى، حيث تهتمّ هذه الأخيرة اِهتمامًا كبيرا بعنصر السّياق في معالجاتها اللّغوية المختلفة، ويرتبط هذا المنهج بعدّة علوم علمية ومعرفيّة؛ اِستطاع من خلالها التّوسّع في مباحثه وبناء قاعدة مفاهيمية صلبة ومتينة تُمكّن من الكشف عن مكنونات الخطابات اللّغوية.

المطلب الأول:مباحث التّداولية

اِنبثق عن التّداوليّة عدّة مباحث ونظريات، قد تختلف في بعض مُنطلقاتها، لكنّها تتّفق في كونها جميعًا تُعالج الاِستعمال اللّغويّ في ضوء السّياق، وقد اِستطاعت التّداوليّة أن تتوسّل بهذه المباحث لتضع منهجًا جديدا يُمكّن من مُعالجة القضايا اللّغويّة عند المتكلّمين، ويمكن تلخيص هذه المباحث فيما يلي:

1- الإشاريات:

نظريّة تداوليّة تهتمّ بتفسير الإشاريات على اِختلافها وفق السّياقات والمقامات الواردة فيها، حيث تُعرّف الإشاريات بأنّها: " مجموع الرّوابط الدّاخلية الّتي تربط بين وحدات النّص وتُحقّق تماسكه واِنسجامه، والرّوابط الّتي تربطه بعالمه الخارجيّ، والإحالة الّتي تتحدّد من خلال العنصر اللّغويّ، والسّياق الوُجودي أو الخارجي. ومن ثمّ تُمثّل دراسة البعد الإشاري للعلامة اللّغوية جُزءًا من مقاصد الخطاب، فالإشارة: (أنا، أنت، هنا) تُفهم من سياقها الخارجيّ ولا تتحقّق إلّا من خلال الاِستعمال وهي تستحضرالمشار إليه إلى طرفي الخطاب...، وأنواعها: الضّمائر، والموصولات، وأسماء الإشارة، والظّروف، ودلالات الأزمنة وألفاظ الأمكنة".[1] ومنه فالإشاريات تُسهم بشكل كبير

[1]- يُنظر: محمود عكاشة، النّظرية البراجماتية اللّسانية (التّداولية): دراسة المفاهيم والنّشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ط1، 2013، ص84.

في ضمان اتّساق النّص وإنسجامه، وتماسكه، كما أنّها تُساعد على إزالة اللّبس والغموض عن الأشياء الّتي نقوم بها أثناء الكلام، وهي ترتبط بالسّياق وتُشرح وتُفسّر من خلاله.

2-نظريّة أفعال الكلام:

تُعدّ نظريّة أفعال الكلام العامّة أو ما تُعرف بأفعال اللّغة جزءًا هامّا من اللّسانيات التّداوليّة، وترتبط اللّغة عند أصحاب هذه النّظريّة بإنجازها في الواقع، ومجالها واسع حيث " تذهب النّظرية أبعد من الملفوظات؛ أي أبعد من البُعد الدّلالي للنّص، ومن علاقة الكلمات بالأشياء، وأبعد من مسألة الحقيقة في علاقتها بالمرجع، لأنّ النّظرية نفسها تُراعي كذلك فعل التّلفّظ بنفسه. وبعبارة أخرى تبحث النّظرية عن ضبط المعنى الخاصّ الّذي يكتسبه الملفوظ أثناء فعل تلفّظ جملة في وضعية سياقية مُعطاة. من ثمّ فمفهوم فعل بوصفه فعلا للتّلفّظ يحظى بأهمّية خاصّة: اللّغة لا تصلح فقط للإخبار أو تمثيل الأشياء أو العالم، بل تصلح أيضا لإنجاز الأفعال فالتّكلُّم يعني الإنجاز".[1] وتحظى عمليّة التّخاطب الّتي تُشكّل التّواصل عند هذه الأخيرة بِاهتمام كبير، حيث " تنظر إليها على أنّها مخاطبة مُرتبطة بموقف تُعبّر عنه، فالطّلب يعبّر عن رغبة في شيء ما، والمدح يعبّر عن رضى، والشّكر يعبّر عن إمتنان...".[2]

ومنه فنظرية أفعال الكلام من أبرز نتاجات الدّرس التّداوليّ، تهتمّ بمقاصد المتكلّم، وتنظر إلى اللّغة على أنّها إنجاز أفعال في مواقف سياقية مختلفة.

[1]- إلفي بولان، المقاربة التّداولية للأدب، تر: محمّد تنفو وليلى احمياني، مرا وتق: سعيد جبار، دار رؤية، القاهرة-مصر، ط1، 2018، ص42.

[2]- يُنظر: محمد محمد يونس علي، مقدّمة في علمي الدّلالة والتّخاطب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت-لبنان، ط1، 2004، ص34.

3-الإستلزام الحواريّ:

من أبرز مجالات البحث في الدّرس التّداوليّ وألصقها به، وأبعدها تداخلًا وإلتباسا بعلم الدّلالة، " إذ ترجع نشأة البحث فيه إلى المحاضرات الّتي دُعي "جرايس" (H.P.Grice) -وهو من فلاسفة أكسفورد المتخصّصين في دراسة اللّغة الطّبيعية Natural Language- إلى إلقائها في جامعة هارفارد سنة (1967م)، فقدّم فيها بإيجاز تصوّره لهذا الجانب من الدّرس، والأسس المنهجية الّتي يقوم عليها".[1] هذا وقد " اعتُبرت الشّروح الّتي قدّمها "جرايس" لنظرية المحادثة مقدّمة مهمّة نحو إنفتاح التّداولية على حقل العلوم المعرفيّة، وهو إنفتاح مهّد الطّريق لظهور نظرية الملاءمة لدى "سبربر"و"ولسون"... تمكّن "جرايس" من بلورة تصوّرين منهجيين متكاملين لهما الأثر الكبير على سيرورة التّأويل، مدارهما حول القدرة على إكتساب حالات ذهنية من جهة، والقدرة على بناء إستدلال مُحكم يحتاجه المتكلّم لفهم الملفوظات داخل سياق كلامي معيّن من جهة أخرى".[2]

فالإستلزام الحواريّ إذن يُفهم من السّياق العامّ للحديث، وليس من المعاني الّتي تُقدّمها الجمل في تراكيب منفصلة عن بعضها البعض، وهو أن تكون العبارات دالّة أكثر ممّا تتضمّنه صيغتها، فيكون هناك معنيان أحدهما مباشر والثّاني غير مباشر، ويكون الإستلزام مُتحقّقا عند معرفة المقصد من القول في الكلام غير المباشر. وهو يقوم على مجموعة من المبادئ أهمّها مبدأ التّعاون، الملاءمة، التّهذيب...، تُفهم هذه المبادئ وفق أطر وسياقات التّخاطبات المختلفة بين المتكلّم والمتلقّي.

---

[1]- يُنظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، دط، 2002، ص32. نقلا عن:

-Levinson , S.C. (1983) P97,100.

-Brown, GF. Yule,G. (1998) : Discourseanalysis. Cambridge university pross.p.33.

[2]- جواد ختام، التّداولية أصولها واتّجاهاتها، ص98،99.

4-نظرية الملاءمة:

هي نظرية تداولية معرفية وإدراكية، تعتمد على عنصر السّياق في تحليل وتفسير مُختلف الملفوظات والأداءات الكلامية، " أرسى معالمها كلّ من اللّساني البريطاني "ديردر ولسن" (D.Wilson) والفرنسي "دان سبربر" (D.Sperber) وتأتي أهمّيتها التّداولية من أمرين:

-أنّها تنتمي إلى العلوم المعرفية الإدراكية.

-أنّها، ولأوّل مرّة منذ ظهور الأفكار والمفاهيم التّداولية، تُبيّن بدقّة موقعها من اللّسانيات، وخصوصا موقعها من علم التّراكيب".[1] وبهذا فهذه النّظرية (نظرية الملاءمة) " تدمج، إذن، بين نزعتين كانتا متناقضتين؛ فهي نظرية تُفسّر الملفوظات وظواهرها البنيوية في الطّبقات المقامية المختلفة، وتُعدّ في نفس الوقت نظرية إدراكية".[2] ويذهب مُؤسّسيْها كلّ من "سبربر" و "ولسون" إلى " أنّ العمليات التّداولية هي قطْعًا ليست من خصائص اللّغة، بل هي من خصائص النّظام المركزيّ. فتأويل الأقوال بالنّسبة إليهما يُوافق نوعين مختلفين من العمليات: ترميزي لغوي/ إستدلالي تداولي. وقد كان هذا التّصوّر حافزا لهما على تأسيس مجموعة من المفاهيم الّتي إعتبراها ضرورية في المقاربة التّداولية".[3]

نظرية الملاءمة إذن نتاج العلوم المعرفية الإدراكية، تعتمد في تأويلها مُختلف الأقوال على التّرميز اللّغوي والإستدلال التّداوليّ.

[1]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللّساني العربي، ص36.

[2]- المرجع نفسه، ص ن.

[3]- يُنظر: إلفي بولان، المقاربة التّداولية للأدب، ص10.

5-نظرية الحجاج:

اِختلف مسعى نظرية الحجاج في معالجة اللّغة عن النّظريات الكلاسيكية القديمة، الّتي حصرته (الحجاج) في البلاغة الكلاسيكية أو البلاغة الحديثة، حيث أنّها تهدف إلى التّأثير في المخاطَب أو المتلقّي ومُحاولة إقناعه بشيء ما. وموضوع الحجاج في اللّغة هو " بيان ما يتضمّنه القول من قوّة حجاجية تُمثّل مُكوّنا أساسيا لا ينفصل عن معناه، يجعل المتكلّم في اللّحظة الّتي يتكلّم فيها يُوجّه قوله وجهة حجاجية ما. وهذا التّوجيه هو الّذي يُشرّع للبحث في التّرابطات الحجاجية الممكنة بما أنّ مسوّغاتها موجودة في البنية اللّغوية للأقوال وليست رهينة المحتوى الخبري للقول ولا رهينة أيّ بنية اِستدلالية صناعية من خارج نظام اللغة".[1]

إنّ الحجاج في اللّغة إذن عملية ذهنية يسعى من خلالها المتكلّم إلى قصد التّأثير في المتلقّي بمختلف الوسائل اللّغوية الّتي تساعده في إثبات آرائه.

أمّا عن ظهور نظرية الحجاج فقد ظهرت مع " اللّغوي الفرنسي "أزفالدديكرو" (O. Ducrot) منذ سنة 1973م، وهي نظرية لسانية تهتمّ بشكل مباشر بالوسائل اللّغوية وبإمكانات اللّغات الطّبيعية الّتي يتوفّر عليها المتكلّم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما تُمكّنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثمّ إنّها تنطلق من الفكرة الشائعة الّتي مُؤدّاها: (أنّنا نتكلّم عامّة بقصد التّأثير)".[2]

فهدف هذه النّظرية إذن هو التّأثير في المتلقّي بالتّركيز على إمكانات وقدرات اللّغات الطّبيعية الّتي يمتلكها المتكلّمون.

[1]- حمّادي صمود، أهمّ نظريات الحجاج في التّقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، الهيئة العامّة لمكتبة الإسكندرية، القاهرة- مصر، دط، دت، ص352.
[2]- ينظر: حمّو النّقاري، التّحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، سور الأزبكية، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 2006، ص55.

المطلب الثاني: العلاقات التّخاطبية في اِستعمال اللّغة

للسّياق دور محوريّ في تحقيق تداولية اللّغة؛ إذ إنّه العامل المشترك بين مختلف نظريات التّداولية ودرجاتها.

وبالحديث عن درجات التّداولية فإنّ " "هنسن" (Hansson) أوّل من حاول التّوحيد بين مختلف أجزاء التّداولية توحيدا نسقيا مُراعيا التّمفصل بين مختلف تلك الأجزاء، وقد أقام محاولته هذه بطريقة تقدّمية مستقلّة نسبيا. مميّزا بين ثلاث درجات في التّداولية، وعبارة درجات المختارة عوضا عن أجزاء تُحدّد فكرة المرور التّدريجي من مستوى إلى آخر، وسنرى أنّه يتمّ وضع بعض مظاهر السّياق في الاِعتبار بالنّسبة إلى كلّ درجة. ويمكن القول إنّ السّياق يغتني ويتعقّد من درجة إلى أخرى".[1]

وبهذا حُدّدت التّداولية في ثلاث درجات، يُعتمد في كلّ منها على مظاهر السّياق، وتتجلّى هذه الدّرجات فيما يلي:

1- تداولية الدّرجة الأولى:

تختصّ بدراسة مختلف الرّموز الإشارية، والأقوال، والصّيغ الّتي يُتوصّل إلى فهم دلالتها ومرجعيتها من سياق الحديث، وتُسمّى " التّداولية التّلفّظيةEnonciative pragmatique أو لسانيات التّلفّظ مع "شارل موريس"، تهتمّ بوصف العلاقات الموجودة بين المعطيات الدّاخلية للملفوظ، وبعض خصائص الجهاز التّلفّظيDispositife pragmatique (مرسل، متلقي، وضعية التّلفّظ) الّتي يندرج ضمنها الملفوظ".[2] أي أنّها تحاول التّعرّف على دلالات " الرّموز الإشارية؛ أي العبارات الغامضة نسقيا. عبارات معناها غامض ومرجعها يتنوّع نسقيا حسب ظروف اِستعمالها، أي حسب سياق التّلفّظ.

[1]- صابر محمود الحباشة، الأسلوبية والتّداولية: مدخل لتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط1، 2011، ص56.

[2]- يُنظر: إدريس مقبول، الأفق التّداولي: نظرية المعنى والسّياق في الممارسة التّراثية العربية، عالم الكتب الحديث، عمان- الأردن، ط1، 2011، ص9.

ما هو السّياق بالنّسبة إلى الدّرجة الأولى؟ إنّه موجودات أو مُحدّدات موجودات، سياق وجودي ومرجعي: المتخاطبون وإحداثيات الزّمان والمكان".[1]

يُعتمد على السّياق في هذه الدّرجة لبيان مرجعيات المتخاطبين، والإحداثيات الزّمكانية لعمليّة التّخاطب.

2- تداولية الدّرجة الثّانية:

تُعنى بالبحث في مختلف الدّوال اللّفظية والتّلفّظية، لتُبيّن كيفية تحوّل الدّلالة وإنتقالها من المستوى المباشر أو الصّريح إلى المستوى غير المباشر أو التّلميحي، وهي ما يُطلق عليها " التّداولية التّحاورية Conversationnelle pragmatique الّتي نتج تطوّرها الحديث جدّا عن استيراد الحقل اللّساني للأفكار المؤسّسة أصلا من لدن الإثنولوجيين وإثنوميثودولوجي التّواصل، وهي تهتمّ بدراسة إشتغال هذا النّمط من التّفاعلات التّواصلية (الحوارات) بإعتبارها تبادلات كلامية تقتضي خصوصيتها أن تُنجز بمساعدة دوال تلفّظيةSignifiants verbaux ولفظية مُوازية Pra-verbaux".[2] معنى هذا أنّ مجال الدّراسة هنا ينحصر في " دراسة الطّريقة الّتي تتّصل فيها القضيّة المعبّر عنها بالجملة المنطوقة، إذ في الحالات المهمّة ينبغي أن تتميّز القضيّة المعبّر عنها عن الدّلالة الحرفية للجملة.

ما هو السّياق بالنّسبة إلى الدّرجة الثّانية؟ إنّه السّياق في معناه الموسّع عند "ستانلكير" (Stalnaker)؛ أي هو موسّع يشمل حتّى ما يفترضه المتخاطبون. إنّه سياق معلومات ومُعتقدات مشتركة. ومع ذلك فإنّه ليس سياقا (ذهنيا)، ولكنّه سياق يُعبّر عنه بألفاظ العوالم الممكنة".[3]

---

[1]- صابر محمود الحباشة، الأسلوبية والتّداولية: مدخل لتحليل الخطاب، ص56.

[2]- إدريس مقبول، الأفق التّداولي: نظرية المعنى والسّياق في الممارسة التّراثية العربية، ص9.

[3]- يُنظر: المرجع نفسه، ص57.

الملاحظ توسّع السّياق في هذه الدّرجة، فهو لايتحدّد هنا مع مقاصد المتكلّم فقط، بل يتعدّاه إلى اِفتراضات المخاطَب.

3- تداولية الدّرجة الثّالثة:

يهتمّ هذا المبحث بنقل أحداث وأحوال في عوالم مُعيّنة، عن طريق منطوقات يُنظر إليها على أنّها أفعال مُوجّهة نحو إنجاز أهداف وأغراض مُعيّنة. وهي ما تُعرف " بالتّداولية التّخاطبية Illocutoire pragmatique أو نظرية أفعال اللّغة مع "أوستين" و "سيرل" الّتي تُخصّص لدراسة القيم التّخاطبية داخل الملفوظ، والّتي تسمح له بالاِشتغال كفعل لغويّ خاص".[1] وهذا الفعل اللّغوي أو الكلاميّ حسبها " لا يتحدّد إلّا من خلال السّياق الّذي يتكفّل بتحديد وإثبات جدّية التّلفّظ أو مجاز فعل معيّن. وقد أسهم تطوّرها في نشاط بحث الملفوظية لأنّها نشأت في حضنها، ممّا ساعد أيضا في تقدّم الدّرس الدّلالي الّذي أصبح هو الآخر محكوما بتيّار "سوسير" وتيّار "أوستين" شأنه في ذلك شأن اللّسانيات عموما".[2]

لا يمكن تحديد مضمون الأفعال اللّغوية وإثبات جدّيتها إلّا عن طريق العودة إلى السّياقات الواردة فيها.

يُلاحظ ممّا سبق أنّ مفهوم السّياق غنيّ جدّا، ويكتسي دورا محوريا وهامّا في تحقيق التّداوليّة بجميع درجاتها، فهو يغتني ويتعقّد من درجة إلى أخرى؛ إذ يُعوّل عليه في تحليل التّلفّظات والحوارات والخطابات المختلفة.

[1]- إدريس مقبول، الأفق التّداولي: نظرية المعنى والسّياق في الممارسة التّراثية العربية، ص9.

[2]- يُنظر: خليفة بوجادي، في اللّسانيات التّداولية: مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009، ص81.

المطلب الثالث: علاقة التّداولية بالعلوم الأخرى

إنّ النّشأة المتميّزة للتّداولية وتنوّع أصولها المستمدّة من علوم وحقول معرفية مختلفة، كاللّسانيات، وعلم العلامات، والدّلالة، والنّحو وغيرها. جعلها بلاشكّ تُؤثّر وتتأثّر بهذه العلوم وتتعالق معها، ويتّضح ذلك فيما سيأتي.

1- علاقة التّداوليّة بعلم العلامات:

تتداخل التّداولية بشكل مباشر مع السّيميولوجيا أو ما يُعرف بعلم العلامات أو الإشارات، بإعتبارها جزءًا من أجزائه الثّلاثة بالإضافة إلى علمي النّحو والدّلالة. حيث تُعنى السّيميولوجيا " بدراسة الشّفرات؛ أي الأنظمة الّتي تُمكّن الكائنات البشرية من فهم بعض الأحداث أو الوحدات بوصفها علامات تحمل معنى. وهذه الأنظمة هي نفسها أجزاء أو نواح من الثّقافة الإنسانية، برغم كونها عرضة لتغيّرات ذات طبيعة بيولوجية أو فيزياوية".[1] فهي إذن علم يعتمد في الدّراسة على تفسير وتحليل العلامات والإشارات الّتي يستخدمها المتكلّمون للتّواصل فيما بينهم، وتحقيق أغراضهم في مختلف مجالات الحياة اليومية. " ويلتقي كلّ من علم العلامات والتّداولية في كون العلامات لها مقاصد مُتعدّدة، والبراغماتية تُعنى بدراسة العلاقات بين هذه العلامات ومُستعمليها".[2] فهما يشتركان في البحث في العلامات وتفسيرها، وبيان علاقتها بمستخدميها. إضافة إلى ذلك فإنّ " وصف التّوظيف السّيميولوجي لا يتأتّى عن طريق تحليل المكوّنات المعجمية والجُملية، وإنّما عن طريق البحث في الخطاب بأكمله".[3]فالسّيميائية من هذا المنطلق تتجاوز البحث في بنية الجمل مُستقلّة عن بعضها البعض إلى تحليل

[1]- روبرت شولز، السّيمياء والتّأويل، تر: سعيد الغانمي، المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر، دط، دت، ص13،14.

[2]- يُنظر: خليفة الميساوي، المصطلح اللّساني وتأسيس المفهوم، دار الأمان، الرّباط-المغرب، ط1، 2013، ص104.

[3]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، دار الكتاب المصري، القاهرة-مصر، ط1، 2004، ص130.

الخطاب برمّته، وهنا تلتقي مرّة أخرى مع التّداولية الّتي جعلت من التّخاطب موضوعا لها، ولكن وجه الإختلاف بينهما يرجع إلى الإستئناس بالسّياق في معالجة إستعمال اللّغة.

2- علاقة التّداولية باللّسانيات:

ترتبط التّداولية إرتباطا وثيقا باللّسانيات، ذلك أنّها تهتمّ بدراسة الكلام الّذي يُمثّل الإستعمال اللّغوي، وموضوع اللّسانيات هو اللّغة، هذه الأخيرة (اللّسانيات) الّتي يُقصد بها " الدّراسة العلمية للّغات البشرية من خلال لغة كلّ قوم من الأقوام. وعندما نقول (علمية) فإنّنا نعني بها الملاحظة ووضع الفرضيات وفحصها، والتّجريب والدّقة والشّمولية والموضوعية، وهذه الخصائص هي الّتي تُميّز الدّراسة اللّغوية الحديثة عن الدّراسة اللّغوية القديمة".[1] فمجال بحث اللّسانيات هو اللّغة بإعتبارها نظامًا من الأصوات والعلامات والرّموز، تُستخدم للتّواصل بين النّاس من أجل قضاء حاجياتهم المختلفة. وبالحديث عن العلاقة بين التّداولية واللّسانيات " يشترك الدّارسون في قولهم أنّ التّداولية تهتمّ بالكلام الّذي هو غير اللّسان المبعد من مجال دراسة علم اللّسان في نظر "سوسير"... فضلا عن أنّ الكلام ليس معزولا عن اللّغة إلّا إفتراضا، فاللّغة لا تتحقّق إلّا في مستوى الكلام، وتبقى حاملة لأهمّ خصائص من يُؤدّيها مهما إجتهد في تجاوز ذلك. فالكلام إذا مظهر من مظاهر تحقّق اللّغة واقعا؛ ودراسته هي دراسة الواقع الفعلي للّغة".[2] وهنا يبرز التّداخل الكبير بينهما، فاللّغة تهتمّ بها اللّسانيات، في حين تنفرد التّداولية بدراسة الكلام " ممّا يفرض الحاجة إلى دراسة متكاملة؛ أن نعتدّ بنظام اللّغة دون إلغاء الخصائص الفردية والتّمييزية الّتي تطبعه أثناء الأداء، ونكون بذلك أمام تأويل أوسع للظّاهرة اللّغوية، وهو هدف تطمح إليه لسانيات "سوسير"، وترجوه التّداولية".[3] بالنّظر إلى مسعاهما المشترك وهو دراسة النّظام اللّغوي بالحفاظ على خصائصه

[1]- حافظ إسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي، أسئلة اللّغة أسئلة اللّسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت-لبنان، ط1، 2009، ص108.
[2]- خليفة بوجادي، في اللّسانيات التّداولية: مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم، ص123.
[3]- المرجع نفسه، ص123،124.

الفردية، هناك دعوة إلى أن تكون الدّراسة متكاملة فيما بينهما، بغية تحقيق نتائج علمية ملموسة في مجال الدراسات اللغوية.

3- علاقة التّداولية بعلم النّحو:

إنّ علم النّحو من أبرز العلوم الّتي ترتبط بالتّداولية، وذلك لإسهامه الكبير في معرفة الدّلالات الصحيحة لمختلف التّخاطبات، وهو " ذلك الفرع من علم اللّغة الّذي يتناول معرفة النّاطقين بلغة معيّنة ببنية الجمل وأشباه الجمل Sentences phrases في هذه اللّغة. ويذهب كثير من الباحثين إلى أنّ علم النّحو وعلم الصّرف يُشكّلان معا علم القواعد Grammer، ولكن بعض اللّغويين (Chomsky 1981) يستخدم كلمة قواعد أحيانا للإشارة إلى وصف اللّغة بمستوياتها المختلفة".[1] فمهمّة النّحو إذن هي ضبط الألسن عن الوقوع في الخطأ، وذلك بوضع مجموع القواعد الّتي يسير عليها اللّسان، ورغم أنّ مجال اِهتمامه ينحصر في الجانب الشّكلي ، " إلّا أنّ دوره لا يُهمل في مجال التّحليل التّداولي، فالعلاقات القواعدية الّتي تُسيطر على نصّ ما، والّتي تتحكّم في عملية البناء اللّغوي من خلال ترابط عناصره التّركيبية، ليست إلّا خطوة أولى في عملية التّفسير والفهم التّداولي، المرتكز بالأساس على مجموعة من العناصر الّتي تقتضي بالمحلّل اللّغوي أن يتجاوز حدود المادّة اللّغوية إلى ما يحيط بها من ملابسات عامّة وقرائن خارجية، ومن المعروف أيضا أنّ المعنى النّحوي له أهمّية كبيرة في عملية التّحليل التّداولي".[2] أي أنّ النحو له أثر كبير في توجيه المقاصد أو السّياقات الّتي يسعى المرسل أو المتكلّم إيصالها أو إبلاغها للمخاطَب أو المتلقي؛ ذلك أنّه كلّما أحدث المتكلّم اِنزياحا في المعاني النّحوية، كأن يعمد إلى التّقديم والتّأخير، أو الحذف والذّكر مثلا، أدّى ذلك بالضّرورة إلى تغيّر في المعنى الّذي يتلقّاه المستمع، فالتّحليلات التّداولية لا يمكن أن تتجاوز الدّراسة النحوية للتّخاطبات لضمان تحليل لغوي سليم.

---

[1]- شحدة فارع وآخرون، مقدّمة في اللّغويات المعاصرة، دار وائل، عمان-الأردن، ط4، 2008، ص141.

[2]- أحمد فهد صالح شاهين، النّظرية التّداولية وأثرها في الدّراسات النّحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط1، 2015، ص25،26.

4- علاقة التّداولية بعلم الدّلالة:

للتّداولية صلة وثيقة بعلم الدّلالة، لأنّ التّحليلات التّداولية تحتاج بالضّرورة للوقوف على معاني ودلالات التّخاطبات في مختلف السّياقات الواردة فيها. وعلم الدّلالة من " أحدث فروع اللّسانيات الحديثة، يُعنى بدراسة معاني الألفاظ والجمل دراسة وصفية موضوعية".[1] يعني هذا أنّ مجال اِشتغال هذا العلم هو المعنى، " ويرى بعض الباحثين أنّ علمي التّداولية والدّلالة علمان متداخلان فيما بينهما، حيث يعتبرون أساسا التّداولية لا تشكّل علما مستقلّا بذاته، بل ينبغي أن تنضوي تحت علم الدّلالة".[2] وتكمن العلاقة بينهما جليّا في كون كلّ منهما " يبحث في دراسة المعنى في اللّغة؛ ومن الضّروري بيان حدود الاِهتمام بالمعنى في علم الدّلالة، وحدود الاِهتمام به في التّداولية... وهما وإن اِشتركا في الموضوع (دراسة المعنى) فقد يختلفان في العناية ببعض مستوياته".[3]

وبالرغم من اِتّفاقهما في دراسة المعنى، إلّا أنّهما يختلفان في طريقة المعالجة اللّغوية، فلكلّ علم آلياته الخاصة في دراسة اللّغة والإحاطة بمستوياتها.

5-علاقة التّداولية بالبلاغة:

تلتقي التّداولية مع البلاغة في كونهما يهدفان إلى التّأثير في المخاطَب أو المتلقّي، حيث تُعرّف البلاغة بأنّها: " تأدية المعنى الجليل بأسلوب جميل، له في النّفس أثر خلّاب، مع مراعاة للموطن الّذي يُقال فيه، والأشخاص الّذين يُخاطبون، والبلاغة فنّ يعتمد على الموهبة والاِستعداد الفطري، والثّقافة الواسعة، ومُعايشة الأدب الجيّد قراءة وتذوّقا وكتابة".[4] فهي إذن قدرة المتكلّم على إيصال المعنى للمخاطَب بمنتهى الفصاحة والبلاغة، مع مراعاة حال المتلقّي، ويُنظر إلى البلاغة على أنّها علم يقوم على قواعد نفعية جمالية، ممّا يجعلها "

[1]- أحمد مومن، اللّسانيات النّشأة والتّطوّر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون-الجزائر، ط2، 2005، ص239.
[2]- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، دط، 2002، ص52.
[3]- خليفة بوجادي، في اللّسانيات التّداولية: مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم، ص127،128.
[4]- محمد ربيع، البلاغة العربية، دار الفكر، عمان-الأردن، ط1، 2007، ص5.

نظامًا له بنية من الأشكال التّصوّريّة واللّغوية يصلُح لإحداث التّأثير الّذي ينشده المتكلّم في موقف محدّد، ويرى "ليتش" (Leech) أنّ البلاغة تداولية في صميمها، إذ إنّها ممارسة الإتّصال بين المتكلّم والسّامع، بحيث يحلّان إشكالية علاقتهما بإستخدام وسائل مُحدّدة للتّأثير، غير أنّ دارسي التّداولية يرون ضرورة تضييق مجال البلاغة بإعتبارها أداة ذرائعية، فالتّداولية إذن قاسم مشترك بين أبنية الإتّصال النّحوية والدّلالية والبلاغية".[1]

فالعلاقة بينهما تتجلى في إهتمامهما بإيصال معان معيّنة للمستمعين، بالإعتماد على وسائل الإقناع والتّأثير، رغم أنّ البلاغة تقوم على مفهوم التّأثير.

6- علاقة التّداولية بالتّعليمية:

تُعتبر التّعليمية فرع من فروع اللّسانيات التّطبيقية، والّتي تتّخذ من تعليمية اللّغة موضوعا لها، وهي: " علم مستقلّ بذاته له علاقة بعلوم أخرى، يدرس التّعليم من حيث مستوياته، ونظرياته، وطرائقه دراسة علمية".[2] محاولا تجاوز كلّ ما من شأنه إعاقة سيرورة ونجاح العملية التّعليمية. و " الظّاهر أنّ اللّسانيات التّداولية قد أحدثت الأثر الأكبر في صناعة التّعليم Didactique سواء تعلّق الأمر بتعليم اللّغة الأمّ أو اللّغات الأجنبية".[3] حيث أصبحت التّعليمية بعد إخفاق المناهج القديمة وقصورها " تُعنى بالمتعلّم ومقام التّبليغ؛ أي تزويد المتعلّم أو المتعلّمين بالأدوات الّتي تمكّنهم من التّحرّك بواسطة الكلام تحرّكا يُلائم المقام والمقاصد المراد تحقيقها، إنّ الأمر لم يعد يتعامل بتلقين بنية نحوية معيّنة، بل إنّه يتعلّق بتوفير الوسائل اللّسانية الّتي تسمح للمتعلّم بإجراء إختبار بين مختلف

[1]- نعمان بوقرة، الخطاب الأدبي ورهانات التّأويل: قراءات نصية تداولية حجاجية، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط1، 2012، ص73.

[2]- بشير إبرير، تعليمية النّصوص بين النّظرية والتّطبيق، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، دط، 2007، ص9.

[3]- الجيلالي دلّاش، مدخل إلى اللّسانيات التّداولية: لطلبة معاهد اللّغة العربية وآدابها، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات المركزية، بن عكنون-الجزائر، دط، دت، ص46،47.

الأقوال، وذلك حسب المقام. فأن يُعرب المرء عن اِعترافه بالجميل لطرف ما معناه إجراء فرز داخل سلسلة من التّأديات والإنتباه إلى رُدود فعل الطّرف المقابل".[1]

ويتجلّى دور اللّسانيات التّداولية في إثراء العملية التّعليمية من خلال تركيزها على مقاصد المتعلّمين، عن طريق تجاوز البنية الشكلية للتّعليم (القواعد) إلى التّطبيق والممارسة الفعلية لتلك القواعد، ومدى تفاعل المتعلم وتوفيقه في إبرازها في الميدان، وبالتّالي أصبح للمتعلّم دور فعّال في الحكم على نجاح العملية التّعليمية وفعاليتها.

[1]- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللّسانيات التّداولية: لطلبة معاهد اللّغة العربية وآدابها، ص47.

الفصل الثّاني:نظريّة أفعال الكلام

المبحث الأول: نظرية أفعال الكلام (مفهومها، نشأتها، وأنواعها)

المبحث الثاني: نظرية الأفعال الكلامية عند الغرب والعرب

المبحث الأول: نظرية أفعال الكلام (مفهومها، نشأتها، وأنواعها)

تكتسي الأفعال الكلامية قيمة بارزة وأهمّية كبيرة في الدّراسات اللّغوية المعاصرة، وذلك بوصفها تُمثّل البنية الصّغرى الّتي يتعيّن على المحلّل اللّغوي أوّلا تحليلها والوقوف على طبيعتها قبل الإنتقال إلى تحليل البنية الكبرى المتمثّلة في مختلف الخطابات والأداءات الكلامية المتنوّعة. ودراسة هذه الأفعال وما تُؤدّيه من إبلاغ، وتأثير، وإنجاز من صميم البحث التّداولي، فاللّغة على حدّ أفعال الكلام ليست وصفا وتمثيلا للعالم فحسب، وإنّما هي في الحقيقة إنجاز أفعال ضمن سياقات مُحايثة للمتكلّمين.

ويُعرّف الفعل الكلاميّ بأنّه: " الوحدة الصّغرى الّتي بفضلها تُحقّق اللّغة فعلا بعينه (أمر، طلب، تصريح، وعد...) غايته تغيير حال المتخاطبين".[1] أي أنّه أصغر وحدة لُغوية يتمّ من خلالها تحقيق أفعال مختلفة، الهدف منها إحداث نوع من التّأثير في المخاطَب. وعُرّف الفعل الكلاميّ أو اللّغوي أيضا بأنّه: " منطوق يُنظر إليه كفعل مُوجّه نحو هدف".[2] فهو إذن يشمل كلّ لفظ يتمّ التّلفّظ به لتحقيق غرض ما.

ومنه فالفعل الكلاميّ يُراد به إنجاز يؤدّيه المتكلّم أو المخاطِب بمجرّد نطقه لألفاظ أو منطوقات وعبارات معيّنة، بُغية تحقيق أغراض وغايات، يطمح إلى التّأثير في المخاطب أو المتلقّي.

المطلب الأول: مفهوم أفعال الكلام

نظرية أفعال الكلام من أهمّ روافد وإتّجاهات الدّرس التّداولي المعاصر، حيث تُعتبر ثورة في تجديد الفكر الفلسفي واللّساني بوجه عامّ، والّتي تدعو إلى إعادة تنظيم منطق اللّغات الطّبيعية على ضوء الدّراسات اللّسانية المعاصرة، والمميّز في هذه النّظرية جدّة مصطلحها ومناهجها. " ويُطلق عليها أيضا نظرية الحدث الكلامي، ونظرية

[1]- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر العاصمة-الجزائر، ط1، 2008، ص7.

[2]- جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السّيد إمام، دار ميريت للنّشر والمعلومات، القاهرة-مصر، ط1، 2003، ص183.

الحدث اللّغوي، والنّظرية الإنجازية، وهي جزء من التّداولية في نظر أغلب الباحثين، وبخاصّة في مرحلتيها الأساسيتين: مرحلة التّأسيس عند "أوستن*"، ومرحلة النّضج والضّبط المنهجيّ عند تلميذه "سيرل*"".[1] ويتجسّد هذا التّصوّر عند "أوستن" من خلال قوله أنّ الفعل هو الإنجاز.

واللّغة عند أصحاب هذه النّظرية " أداء أعمال مختلفة في آن واحد، وما القول إلّا واحد منها، فعندما يتحدّث المتكلّم فإنّه في الواقع يُخبر عن شيء، أو يُصرّح تصريحا ما، أو يأمر، أو ينهى، أو يلتمس، أو يعد، أو يشكر، أو يعتذر، أو يُحذّر، أو يدعو، أو يسمّي، أو يستغفر".[2] فاللّغة حسبها إذن مجموع أداءات قولية مختلفة، مفادها الإخبار أو الإفصاح عن أشياء ما، أو الدّعوة إلى فعل أمور ما، أو النّهي والتّحذير من فعل أمور ما.

وتجعل هذه النّظرية عملية التّخاطب مرتبطة أساسا بالمواقف والسّياقات المراد التّعبير عنها، وفهم المتلقّي قصد المتكلّم هو أساس نجاح عملية التّخاطب، فهي " تنظر إلى عملية التّخاطب على أنّها مخاطبة مرتبطة بموقف تُعبّر عنه، فالطّلب مثلا يُعبّر عن رغبة في شيء ما، والمدح يعبّر عن رضى، ويعبّر الشّكر عن اِمتنان، في حين يُعبّر الاِعتذار عن ندم. ويُقاس نجاح التّخاطب وفقا لهذه النّظرية بمدى اِكتشاف المتلقّي للموقف المعبّر عنه من خلال فهمه قصد المتكلّم والتّفاعل معه".[3]

---

* أوستن جون لانغشو(Austin, John Langshaw): فيلسوف إنجليزي ولد في لانكستر عام 1911م، وتوفي في أوكسفورد عام 1960م. كان من ممثلي المدرسة التحليلية التي سميت بمدرسة اللّغة العادية، أو كذلك مدرسة أوكسفورد... من أعماله(كيف نفعل الأشياء بالكلمات).

*سيرل جون روجر (Searle , John Roger) : فيلسوف أمريكي ولد سنة 1932م، من ممثلي فلسفة التحليل اللغوي. تابع خط فتغنشتاين. أكد على أهمية أشكال الإيصال اللّغوي التي طالما أهملها الفلاسفة. من مؤلفاته: أفعال الكلام (1969م)، فلسفة اللغة (1971م).جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة: (الفلاسفة–المناطقة– المتكلمون– اللاهوتيون –المتصوفون)، دار الطليعة، بيروت– لبنان، ط3، 2006، ص117–382.

[1]– ينظر: علي محمود حجي الصّراف، في البراجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة–مصر، ط1، 2010، ص26.

[2]– محمد محمد يونس علي، مقدّمة في علمي الدّلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت–لبنان، ط1، 2004، ص34.

[3]– يُنظر: محمد محمد يونس علي، مقدّمة في علمي الدّلالة والتّخاطب، ص34.

ومنه عُدّت نظرية أفعال الكلام العامّة اللّبنة الأولى للدّرس التّداولي، والّتي بُنيت عليها العديد من مباحث التّداوليّة فيما بعد.

المطلب الثاني: نشأتها وتطوّرها

أ–النّشأة:

تأسّست نظرية أفعال الكلام العامّة على يد الفيلسوف الإنجليزي "جون أوستن" في مجموع محاضراته الّتي ألقاها في العقد الثّالث من القرن العشرين في جامعة أكسفورد، وكذا مع " محاضرات "وليام جيمس" (William James Lectures) الّتي قدّمها في هارفارد (Harvard) سنة 1955م، ونُشرت بعنوان (كيف نصنع الأشياء بالكلمات؟) (How to do thingswithwords) ".[1]

ولم تنشأ هذه النّظرية من فراغ، وإنّما تأثّرت بما قام به "فيتجنشتاين"، حيث " اِستند مُؤسّساها فيلسوفا اللّغة "أوستن" و"سيرل" إلى فرضية "فيتجنشتاين" (Wittgenstein) الّتي اشتُهرت آنذاك، حيث يكون معنى الكلمة وفقا لها هو اِستخدامها، وأنّ ما هو براجماتي إذن هو الّذي يُحدّد المعنى الحقيقي للكلمات (والوحدات اللّغوية) آخر الأمر. فالكلام تبعا لذلك يمكن أن يُوصف بأنّه عمل أو نشاط أو فعل، ويتوقّف على ذلك أساسا بحث ما يمكن أن يتحقّق بمساعدة الفعل اللّغويّ".[2] أي أنّ المعنى الحقيقي للأفعال اللّغوية يكمن في اِستخدامها، وأنّ معنى الكلمة يتحقّق فقط إذا أثبتت فعاليتها في التّواصل.

[1]– جاك موشلر وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتّداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف: عز الدين المجدوب، مرا: خالد ميلاد، دار سيناترا، تونس، دط، 2010، ص56.

[2]– يُنظر: فولفجانج هاينه مان وديتر فيهجر، مدخل إلى علم لغة النّص، تر وتع: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة–مصر، ط1، 2004، ص54.

وقد لخّص "ديتربونتنج" في كتابه {المدخل إلى علم اللّغة} منطلقات تحليلات الفعل الكلاميّ، اِستنادًا إلى فكرة الكلام عند شخص ما، فيما يلي:[1]

1. أنّه يعبّر لُغويا، أي بالكلام (وليس مثلا من خلال الحركات والإشارات).
2. أنّه يقول أو يتلفّظ شيئا ما.
3. أنّه موجود في موقف كلاميّ (تواصلي).
4. أنّه أي المتكلّم-عادة- يتحدّث إلى شخص ما (هو شريك الحديث).
5. أنّه من خلال هذا الكلام-فعل الكلام- يتأثّر بالموقف التّواصلي، ويُؤثّر في شريك الاِتّصال.

الملاحظ أنّ تحليلات الفعل الكلاميّ وسّعت المنطوقات اللّغوية الّتي تركّز في الغالب على صيغة الأصوات اللّغوية، والجوانب الشّكلية النّحوية الموافقة لها، متجاوزة إيّاها للاِهتمام بقوّة وتأثير الفعل الكلاميّ كفعل تواصلي عند كلّ من المتكلّم والمتلقّي. " ففي بحوث نظرية الفعل الكلاميّ يمدّ بشكل مستمر الإطار متجاوزا مجرى المحادثة إلى نتيجتها، ويُبحث في مدى نجاح الفعل الكلاميّ وتوفيقه، والتّوفيق حكم لا يقصد إلى التّواصل بوجه عام، إذ إنّ التواصل في حدّ ذاته إمّا أن يوجد أو لا يوجد، إنّما التّوفيق يتعلّق أساسا بالمقاصد التّواصلية لشركاء المحادثة. ويُفرّق هنا بين توفيق فعل كلامي وتوفيق قصد الفعل. فالفعل الكلاميّ يُوفّق إذا فهم شريك المحادثة ماذا يريد المتكلّم، ولا يُقال بذلك أيضا إنّ المتحدَّث إليه يوافق على قصود المتكلّم أو يتجاوب معها".[2] معنى هذا أنّ نظرية أفعال الكلام لا تهتمّ بكيفية التّواصل وطرقه بقدر ما تهتمّ بمدى نجاحه وفعاليته من طرف كلّ من المتكلّم والمتلقّي، فالأفعال الكلامية لا يمكن الحكم على توفيقها ونجاحها إلّا إذا تمّ فهمها والتّفاعل معها من طرف متلقّي الخطاب أو الرّسالة.

[1]- يُنظر: كارل ديتربونتنج، المدخل إلى علم لغة النص، تر وتع: سعيد حسن بحيري، مؤسّسة المختار، القاهرة-مصر، ط1، 2003، ص295.
[2]- يُنظر: كارل ديتربونتنج، المدخل إلى علم لغة النص، ص298.

ب–التّطور:

تطوّرت هذه النّظرية وارتقت على الصّورة الّتي نعرفها عليها اليوم بفضل مجهودات "سيرل" الّذي اِستأنف ما قام به أستاذه "أوستن"، مدخلا عليها بعض التّعديلات محاولا الإحاطة بما أغفله أستاذه، حيث " اِستمرّ في تطوير المدخل الأساسي لهذه النّظرية من خلال الفرضية القائلة إنّه مع كلّ منطوق يُنجز أيضا فعل حمل وفعل إحالة. ويختصر كلا الفعلين الجزئين بوصفهما فعلا قضويا (ويُفصلان عن فعل القول لدى "أوستن"). ويستخدم "سيرل" مصطلح (فعل المنطوق) لما تبقى من فعل القول لدى "أوستن" الّذي تقلّص إلى هذين المكوّنين (أي الفعل القضوي، وفعل المنطوق)".[1] الملاحظ ممّا ذُكر إضافة "سيرل" الفعل القضوي ، الّذي يشتمل بدوره على فعلين هما فعلي الإحالة والحمل، وبذلك أصبح الفعل اللّغوي عنده يعني إنجاز أربعة أفعال في الوقت ذاته. ليُقدّم "سيرل" بعد ذلك تصنيفا عامّا لجميع الأفعال اللّغوية يختلف عن تصنيف "أوستن" لها، " وقد عبّر عن هذا التّقسيم بأنّه تقسيم للأفعال، لا القوى المتضمّنة في القول، وتتمثّل هذه الأقسام عنده في: التّقريريات، الوعديات، الأمريات، الإيقاعيات، البوحيات".[2]

وتتميّز نظرية الأفعال اللّغوية بالنّظر إلى التّطوّر الّذي عرفته بمرحلتين أساسيتين، هما:[3]

1. **مرحلة الفعل اللّغوي المباشر**: وتمثّلها من جهة أعمال "أوستن"، وهي مجموعة مقالات ضمّنها نظريته حول الأفعال اللّغوية، نُشرت بعد وفاته سنة 1962م بعنوان: (كيف نصنع الأشياء بالكلمات؟) أو (عندما يعني القول الفعل)، ومن جهة أعمال "سيرل" الّتي تضمّنها كتابه{الأفعال اللّغوية} سنة 1972م.

[1]– يُنظر: فولفجانج هاينه مان وديتر فيهجر، مدخل إلى علم النص، ص55.

[2]– يُنظر: طالب سيد هاشم الطّبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللّغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، دط، 1994، ص33،34.

[3]– حافظ إسماعيلي علوي، التّداوليات علم اِستعمال اللّغة، عالم الكتب الحديث، عمان–الأردن، ط1، 2011، ص90.

2. **مرحلة الفعل اللّغوي غير المباشر**: وتمثّلها مقالة "غرايس" المشهورة المنشورة سنة 1975م بعنوان: (المنطق والتّخاطب)، ومقالة "سيرل" (الأفعال اللّغوية غير المباشرة) المنشورة في السّنة نفسها.

نخلص من كلّ ما سبق ذكره إلى أنّ نشأة هذه النّظرية كانت نشأة مميّزة بالنّظر إلى الأصول والمصادر الفكرية المستوحاة منها، وهذا ما ساعد روادها على صياغة نظرية لغوية متكاملة، لها منهجها ومنطلقاتها الخاصّة في دراسة اللّغة.

المطلب الثالث: أنواع الأفعال الكلامية

صُنّفت الأفعال الكلامية في خمسة أصناف عامّة حسب قوّة فعل الكلام، لكلّ صنف منها مميّزاته وخصائصه الّتي يُعرف بها ويتميّز عن باقي الأصناف الأخرى، وهذا لا ينفي التّداخل بين هذه الأصناف أو الأقسام، لأنّها مكمّلة لبعضها البعض تُشكّل في النّهاية مجموعة أسرية من الأفعال اللّغوية. وتتمثّل هذه الأصناف فيما يلي:[1]

1. **الإعلانات Declarations**: هي أنواع أفعال الكلام تلك الّتي تغيّر الحالة عبر لفظها. يتوجّب على المتكلّم تسنّم دور مؤسّساتي في سياق معيّن لإنجاز الإعلان بصورة صحيحة.

أمثلة: أ-القسّيس: الآن أعلنكما زوجا وزوجة.

ب-الحكم: أنت مطرود.

ج-رئيس هيئة المحلفين: وجدنا المتّهم مذنبا.

فبمجرّد النّطق بهذه الإعلانات يُغيّر المتكلّم العالم عبر الكلمات.

[1]- يُنظر: جورج يول، التّداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت-لبنان، ط1، 2010، ص89،90.

2. **الممثّلات Representatives**: هي أنواع أفعال الكلام تلك الّتي تُبيّن ما يُؤمن به المتكلّم أنّه الحالة أم لا. وتُمثّل جمل الحقيقة والجزم والإستنتاجات والأوصاف.

أمثلة: أ-الأرض مسطّحة.

ب- لم يكتب جومسكي عن الفول السّوداني.

ج- كان يوما مشمسا ودافئا.

بإستعمال الممثّلات، يجعل المتكلّم الكلمات تُلائم العالم (عالم الإعتقاد)، وتمثّل الحالة كما يعتقدها المتكلّم.

3. **المعبّرات Expressives**: هي أنواع أفعال الكلام تلك الّتي تبيّن ما يشعر به المتكلّم. فهي تعبّر عن حالات نفسية، ويمكن لها أن تتّخذ شكل جمل تعبّر عن سرور أو ألم أو فرح أو حزن، أو عمّا هو محبوب أو ممقوت، يمكن أن يُسبّبها شيء يقوم به المتكلّم أو المستمع، غير أنّها تخصّ خبرة المتكلّم وتجربته.

أمثلة: أ-أنا متأسّف جدا !

ب-تهانينا !

ج-أوه، نعم، عظيم. م مم !

بإستعمال المعبّرات، يجعل المتكلّم الكلمات تلائم العالم (عالم الأحاسيس)[1].

- [1]ينظر: جورج يول، التداولية، ص90،91.

4. **الموجّهات Directives**: هي أنواع أفعال الكلام تلك الّتي يستعملها المتكلّمون ليجعلوا شخصا آخر يقوم بشيء ما. وهي تعبّر عمّا يريده المتكلّم، وتتّخذ أشكال أوامر وتعليمات وطلبات ونواه ومقترحات، ويمكن لها أن تكون إيجابية أو سلبية.

أمثلة: أ-أعطني كوبا من القهوة. أريدها قهوة صافية.

ب-هل لك أن تعيرني قلما، رجاء؟

ج-لا تلمس ذلك.

بإستعمال الموجّهات، يحاول المتكلّم جعل العالم ملائما للكلمات (عبر المستمع).

5. **الملزمات Commissives**: هي أنواع أفعال الكلام تلك الّتي يستعملها المتكلّمون ليلزموا أنفسهم بفعل مستقبليّ، لأنّها تُعبّر عمّا ينويه المتكلّم. وهي وُعود وتهديدات وتعهّدات. ويمكن أن ينجزها المتكلّم فقط، أو المتكلّم بإعتباره عضوا في مجموعة.

أمثلة: أ-سأعود.

ب-سأنجزها بشكل صحيح في المرّة القادمة.

ج-لن نقوم بذلك.

عن طريق إستعمال الملزمات، يأخذ المتكلّم على عاتقه جعل العالم ملائما للكلمات (عبر المتكلّم).[1]

[1]- يُنظر: جورج يول، التّداولية، ص90،91.

تهدف جميع هذه الأفعال في أيّ صنف كانت إمّا لتغيير العالم، أو لجعل تلك الكلمات تُلائم العالم، أو لجعل العالم يلائم الكلمات. ويتّخذ المتكلّم دورًا محوريا هامّا في جميع هذه الأصناف.

المبحث الثّاني: نظرية الأفعال الكلامية عند الغرب والعرب

تتجاوز نظرية أفعال الكلام العامّة تمثيل اللّغة ووصفها إلى الاِهتمام والتّركيز على الإنجاز والتّأثير، وسيتبيّن لنا في هذا المبحث منطلقات أصحاب هذه النّظرية في معالجة اللّغة.

المطلب الأول: تأصيل "أوستن".

إنّ أوّل ما اِبتدأ به "أوستن" في نظرية أفعال الكلام هو " التّمييز بين الملفوظات التّقريرية Constatives، والملفوظات الإنجازية Performatives، فالأولى تنقل أحداثا وأحوالا في عوالم معيّنة، ومن ثمّ، إمّا أن تكون حقيقية أو زائفة بالنّسبة لهذه العوالم، في حين أنّ الثانية تُستخدم لإنجاز أفعال معيّنة أكثر ممّا تُستخدم لكي تقرّر أنّ شيئا ما حقيقي أو غير حقيقي".[1] فالملفوظ إذن نوعين: إخباري؛ قد يكون صادقا أو كاذبا، وإنشائي أو إنجازي؛ يُستخدم على وجوه متنوّعة وتراكيب مختلفة.

ويتجلّى تقسيم "أوستن" للأفعال الكلامية في قسمين رئيسيين، هما:[2]

1. **الأفعال الإخبارية:** وهي الألفاظ الّتي تُستعمل لتدلّ وتنبّه على الظّروف والملابسات الّتي وقع فيها حكم مضمون الجملة، أو على الاِحترازات الّتي رُوعي فيها ذلك الحكم، أو على الكيفية الّتي اِتّخذ بها، أو على شيء من هذا القبيل.
2. **الأفعال الإنجازية:** وهي الألفاظ الّتي لا تصف، ولا تُخبر بشيء، ولا تُثبت أمرا ما على وجه الإطلاق، ومن ثمّ فهي لا تدلّ على تصديق ولا تكذيب. فالنّطق بالجملة هو إنجاز لفعل أو إنشاء لجزء منه.

[1] – يُنظر: جيرالد برنس، قاموس السّرديات، تر: السيد إمام، دار ميريت للنّشر والمعلومات، القاهرة–مصر، ط1، 2003، ص183.

[2] – يُنظر: جون لانكشو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامّة: كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء–المغرب، دط، 1991، ص14–16،17.

أمثلة: 1- نعم أقبل أن تكون هذه المرأة زوجتي الشّرعية.

2- أراهنك على أنّ السّماء ستمطر غدا.

واضح من هذان المثالان أنّ التّلفّظ بالجملة (في المناسبات المخصوصة بطبيعة الأمور) ليس وصفًا لحال القيام بالفعل، بل إنّ النّطق بالجملة هو إنجازها وإنشاؤها.

وبهذا اتّخذ "أوستن" نوعين من الأفعال الكلامية في دراسة اللّغة هما: الأفعال الإخبارية والأفعال الإنجازية، معتمدا في ذلك على القصد.

اِتّجه "أوستن" بعد ذلك إلى تقسيم الجمل الخبرية نفسها إلى: وصفية وإنشائية، " حيث بنى تقسيمه هذا على أساس أنّ ما وضعه تحت الإنشائيات هو:

1- جمل تُقال لا للوصف ولا للسّرد، ولا لتصوير أيّ شيء، وبالتّالي فهي ليست صادقة ولا كاذبة.

2- تلفّظ هذه الجمل هو القيام بفعل أو بجزء منه، لا يوصف عادة بأنّه قول شيء أو مجرّد قول شيء".[1] فالتّلفّظ بجملة ما لا يدلّ على الوصف أو الإخبار بالقيام بالفعل، بل إنّه القيام بهذا الفعل بعينه.

ليتوصّل بعد ذلك إلى معيارين أساسيين يكفي كلّ منهما على حدة لتحديد الجملة الإنشائية، هما:[2]

1- اِشتمال الجملة على فعل بصيغة المضارع المعلوم للمتكلّم المفرد.

2- اِشتمال الجملة على فعل بصيغة المبني للمجهول بضمير المخاطب أو الغائب.

[1]- ينظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللّغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص4،5.

[2]- يُنظر: المرجع نفسه، ص5،6.

هذان معياران مهمّان لتحديد الجمل الإنشائية وتمييزها عن الخبرية، لكن هناك بعض الجمل الإنشائية الّتي لا تخضع لهذين المعيارين.

ليتوصل في الأخير بعد تفريقه بين المنطوقات الإخبارية والإنشائية إلى أنّ " كلّ العبارات أو المنطوقات اللّغوية قابلة ومعدّة لتكون أفعالا إنجازية، ومن ثمّ قاده هذا التّصوّر إلى التّفريق بين الملفوظات الإنجازية/الِابتدائية، والملفوظات الإنجازية/الصّريحة؛ اِنطلاقا من أنّ الأولى يُمثّلها نمط من العبارات الّتي لا يتمّ التّصريح فيها بالفعل المنجز. أمّا الثانية فهي العبارات الّتي يُصرّح فيها بالفعل المنجز".[1] ذلك أنّه كلّ الملفوظات اللّغوية أو المنطوقات تعتبر أفعالا إنجازية، وهي على نوعين:[2]

1- **إنجازية (صريحة/مباشرة)**: ويكون فعلها ظاهرا، وقد يكون عبارة عن (أمر، حضّ، دعاء، نهي...) بصيغة الزّمن الحاضر المنسوب إلى المتكلّم.

2- **إنجازية (ضمنية/غير مباشرة)**: ويكون فعلها مضمر وغير ظاهر، نحو: الِاجتهاد مفيد= (أقول) الِاجتهاد مفيد= آمرك أن تجتهد.

فكلّ الملفوظات اللّغوية إذن تشتمل على أفعال إنجازية، قد تظهر في الملفوظ أو تكون مضمّنة في معناه (الملفوظ).

تقسيمات "أوستن" للفعل الكلامي:

ميّز "أوستن" بين ثلاثة أنواع من الأفعال القولية، وهي:

[1]- مرتضى جبار كاظم، اللّسانيات التّداولية في الخطاب القانوني: قراءة اِستكشافية للتّفكير التّداولي عند القانونيين، منشورات ضفاف، بيروت-لبنان، ط1، 2015، ص43.

[2]- ينظر: خليفة بوجادي، في اللّسانيات التّداولية: مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربيّ القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009، ص96.

1- **الفعل القولي**: وهو " الفعل الّذي يتحقّق بمجرد التّلفّظ أو نطق شيء ما".[1] فهو إذن الفعل الّذي يؤدّى عن طريق نطق أصوات معيّنة في تراكيب محدّدة، لإيصال معاني ودلالات معيّنة. " فهذه الأفعال الفرعية، وهي الفعل الصّوتي، والفعل الصّرفي، والتّركيبي، والفعل الدّلالي، تشكّل مع بعضها البعض ما يُسمّى بفعل القول".[2] الملاحظ إذن تكامل هذه الأفعال الثلاثة فيما بينها، والّتي ينتج عنها ما يُعرف بفعل القول.

2- **الفعل الإنجازي**: يُعرّف بأنّه: " ما يؤدّيه الفعل اللّفظي من وظيفة في الإستعمال كالوعد، والتّحذير، والأمر، والنّصح...".[3] ويتمثّل الفعل الإنجازي في " المعنى الإضافي المؤدّى خلف المعنى الأصلي أو الحرفي (المتضمّن في القول)".[4] معناه أنّه تلك الوظيفة أو الوظائف المختلفة الّتي يؤدّيها فعل القول في الإستعمال؛ أي المعنى المتضمّن في فعل القول.

3- **الفعل التّأثيري**: ويعني: " العمل الّذي يتحقّق نتيجة قولنا شيئا ما".[5] وهذا الفعل هو الّذي " يحدّد أثر المنطوق اللّغوي على السّامع، أي ما يحدثه لدى السّامع متجاوزا ما هو عرفي (أن يسعد أو يغضب مثلا...)".[6] أي أنّ الفعل التّأثيري يتمثّل في ذلك التّأثير الّذي يحدثه فعل القول على المتلقي أو المخاطَب.

نخلص من هذا إلى أنّ الفعل الأوّل (القولي) مجرد قول أو نطق للألفاظ، أمّا الثّاني فيمثّل القيام بفعل ضمن القول، في حين أنّ الفعل الثّالث (التّأثيري) فيتجلّى في ذلك التّأثير العملي الّذي يحدثه القول في المتلقي، وجميع هذه الأفعال مرتبطة ببعضها البعض، وحظيت بإهتمام كبير من طرف "أوستن".

---

[1]- يُنظر: آن روبول وجاك موشلار، التّداولية اليوم علم جديد في التّواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مرا: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت-لبنان، ط1، 2003، ص31.

[2]- يُنظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التّحليل اللّغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التّنوير، بيروت-لبنان، ط1، 1993، ص184،185.

[3]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، دط، 2002، ص68.

[4]- نعمان بوقرة، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل: قراءات نصية تداولية حجاجية، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط1، 2012، ص91.

[5]- آن روبول وجاك موشلار، التّداولية اليوم علم جديد في التّواصل، ص31.

[6]- فولفجانج هاينه مان وديتر فيهجر، مدخل إلى علم لغة النص، تر وتع: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة-مصر، ط1، 2004، ص55.

أنماط الفعل الكلاميّ عند "أوستن":

ختم "أوستن" محاضرته الأخيرة والّتي كانت بعنوان: (أصناف قوّة فعل الكلام) بتقديم تصنيف عام للأفعال الكلامية، على أساس ما أسماه قوّتها الإنجازية، فجعلها في خمسة أصناف رئيسية، هي:[1]

1- **الأحكام والقرارات:** يختصّ هذا الصّنف بكونه ناتجا عن إصدار حكم حول شيء ما واقعيا كان أم قيمة، سواء أكان ذلك في المحكمة من طرف الهيئة القضائية أم من محكم يتمّ اِختياره. ويظهر هذا النّوع أيضا في طبائع الإنسان وصفاته وأفعاله، كأن نقول مثلا: (وجدته جادّا)، فهذا الحكم أطلق بالنّظر إلى أفعال الشّخص وصفاته.

وترتبط القرارات الّتي هي من اِختصاص السّلطة تشريعية كانت أو تنفيذية بمفهومي الصّدق أو الكذب سواء أكانت ممارسة عادلة أم جائرة. وكون محتوى القرار صادقا أو كاذبا فهذا أمر مكشوف للعيان، مثلا: عندما يعلن الحكم في الملعب (مطرودOut)، فهذا يفهم مثلا: اِنتهى دورك، أو التوقّف.

2- **الممارسات التّشريعية:** يتعلّق هذا الصّنف بممارسة السّلطة والقانون، والنّفوذ بإصدار قرار إمّا لصالح سريان تصرّف ما وجريانه، وإمّا لإتقانه، أو لتأييده وتقويته. ويُتّخذ هذا القرار بصدد ما ينبغي أن يكون عليه، بخلاف (الحكم) الّذي يتعلّق بما هو كائن، وهذا الصّنف واسع جدّا، من أمثلته: التّعيين في المناصب والاِنتخابات، وإصدار الأوامر التّفسيرية في المذكّرات، وإعطاء التّوجيهات التّنفيذية القريبة من النّصح والتّحذير وغيرها.

[1]- ينظر: جون لانكشو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب، ط2، 2008، ص187-189-191-195.

3- **ضروب الإباحة:** يرتبط هذا الصّنف بمجموع الِالتزامات الّتي يعقدها الإنسان لفعل أشياء ما. فنموذجه إعطاء الوعد، والتّكفّل، والضّمان، والتّعهّد. وقد يندرج في هذا الباب التّصريح وإعلان النّية والقصد، ويدخل التّصريح والقصد في الوعد، فقولي مثلا: (أقصد) هو بوجه عام الإعلان والإفصاح، وقولي أيضا: (أعمل لصالح، أعارض ولكن...، أختار وجهة نظر، وأتّخذ موقفا) ليس فيه إثبات بأنّي أعمل لصالح كذا أو أعارض وما شابههما دون الإفصاح بأنّي سأعمل (أعمل لصالح "س")، فمن خلال السّياق يجوز أن أكون دالّا على التّصويت لصالح "س" على مناصرته، أو التّصفيق له.

4- **الأوضاع السّلوكية:** هي مجموعة منتشرة لا يمكن حصر أطرافها بسهولة، ولكنّها كلّها تندرج تحت باب السّلوك والأعراف المجتمعية، حيث تتضمّن الأوضاع السّلوكية ردود الأفعال على سلوك الآخرين، وعلى ما لاقوه من نجاح أو فشل في مزاولتهم لذلك النّشاط أو ذاك السّلوك، كما تتضمّن أيضا المواقف وضروب التّعبير عن أوضاع السّلوك الماضية ممّا قام به الآخرون، أو ما يُحتمل أن يقع من تصرّفاتهم. وأمثلتها: الِاعتذارات، والتّهاني، والتّعازي، والقسم.

5- **الإثباتات الوصفية المفسّرة:** وهي الأصعب تعريفا، ولكنّها تبيّن كيف أنّ العبارات المتلفّظ بها تجري مجرى الِاحتجاج والنّقاش كما تكشف كيف أنّنا نستخدم الألفاظ، وبوجه عام، يصلح هذا الصّنف لطريقة العرض الّتي تقتضي أن نفسّر بفضلها وجهات نظرنا، وسوق حججنا، وتوضيح اِستعمالاتنا للألفاظ، ومرجع إحالتها. ومجال هذا الصّنف متّسع، والأشهر من أمثلة هذه الصّيغ الفعلية: أثبت، أيّد، أنكر، شدّد على، أوضح، أجاب، سأل، أنكر.

وعلى وجه الإجمال فإنّ جميع الصّيغ الفعلية ترجع إلى الموقف التّواصلي.[1]

[1]- يُنظر: جون لانكشو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام، ص187،188-196-198،199.

الملاحظ على هذه الأصناف أنّها تتداخل وترتبط ببعضها البعض، إذ لا يمكن الفصل بينها؛ ذلك أنّها تمثّل مجموعة أسرية متكاملة من خصائص أفعال الكلام العامّة.

اِتّخذ "أوستن" موقفه من هذا التّصنيف بعد الإنتهاء منه، حيث اعتبر " الصّنفان الأخيران(السّلوكيات والعرضيات) الأكثر تعقيدا، إمّا لكونهما غير واضحين، وإمّا لأنّهما يتداخلان من جهة تصنيفهما حتّى أنّهما ليكادان يحتاجان إلى إعادة تصنيفهما من جديد".[1]

وأكّد على أنّ هذا التّصنيف " مبدئي مؤقت وغير نهائي. فالسّلوكيات شأنها يدعو إلى الحيرة لأنّها متنوّعة وواسعة الإنتشار، وكذلك الحال بالنّسبة للإثباتات الموصوفة فعددها كبير جدّا وبالغ الأهمّية، ونشعر بأنّها تشترك مع سائر الأصناف الأخرى كما قال بأنّه لم يفلح أبدا في شرح هذا الصّنف الأخير".[2]

وبالرّغم من اعترافاته ببعض النّقائص، إلّا أنّه وبلا شكّ تمكّن من بلورة نظرية لغوية متميّزة، اِستطاعت الإنفراد بمكانة خاصّة في ساحة الدرس اللّغوي المعاصر.

المطلب الثاني: مساهمة "سيرل".

يُعتبر الفيلسوف الأمريكي "سيرل" من أشهر تلامذة "أوستن" وأتباعه، " أعاد تناول نظرية "أوستن" وطوّر فيها بُعدين من أبعادها الرّئيسية، هما: المقاصد والمواضعات. وبالفعل يمكننا اِعتبار الأعمال اللّغوية والجمل الّتي أُنجزت بواسطتها وسيلة تواضعية للتّعبير عن مقاصد معيّنة وتحقيقها. وهذا المظهر كان حاضرا مع "أوستن" ولكنّه شهد أوجّ تطوّره مع "سيرل"".[3]

[1]- ينظر: جون لانكشو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام، ص188.

[2]- المرجع نفسه، ص188.

[3]- ينظر: آن روبول وجاك موشلار، التّداولية اليوم علم جديد في التّواصل، ص33.

وقد بنى "سيرل" أفكاره على ما توصّل إليه أستاذه، فأوّل ما قام به " تعديل التّقسيم الّذي قدّمه "أوستن" للأفعال الكلامية، فجعله أربعة أقسام، أبقى منها على القسمين الإنجازي والتّأثيري، وجعل القسم الأول (الفعل القولي أو اللّفظي) قسمين أحدهما الفعل النّطقي، والثّاني الفعل القضوي".[1] حيث اِهتمّ بتفسير معنى الفعل القضوي، مع تقرير إفصاحه بعدم اِهتمامه بالفعل التّأثيري.

تقسيمات سيرل للفعل الكلامي:

تعرّض "سيرل" بالنّقد لتمييز "أوستن" الأفعال اللّفظية عن الأفعال الإنجازية، حيث قال بأنّ " فكرة فصل "أوستن" بين هذين الفعلين غير مفيدة إلى حدّ بعيد وأنّه لا يمكن أن يكون تمييزا عامّا تماما، لأنّ معنى بعض الجمل على الأقلّ–فيما يرى "أوستن"– يحدّد القوة الإنجازية للجمل المنطوقة. وبالتّالي على حدّ قول "سيرل" فإنّه لا وجود لفعلين مختلفين هنا، بل اِسمان مختلفان لفعل بعينه".[2] ويتجلّى التّقسيم الجديد الّذي جاء به "سيرل" للأفعال القولية فيما يلي:[3]

1- **الفعل النّطقي**:يتمثّل في النّطق الصّوتي للألفاظ على نسق نحوي ومعجمي صحيح. فهو يشترط إذن الصوت وصحة التركيب والدّلالة.

2- **الفعل القضوي**:يتمثّل في مرجع هو محور الحديث فيها جميعا، هذا (المرجع) هو زيد في الجمل الأربع. و(خبر) هو فيها جميعا مذاكرة الدروس، والمرجع والخبر يُمثّلان معا قضية هي: مذاكرة زيد الدّروس، والقضية هي المحتوى المشترك بينها جميعا. وهو وجه الاِختلاف بينه وبين "أوستن".

---

[1]- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، ص72،71. نقلا عن:
Searle, JR : Speech acts .An essay in the philosophy of language. Cambridge Universitypress, 1969, pp. 24,25.

[2]- ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللّغوي عند مدرسة أكسفورد، ص207،206.

[3]- ينظر: علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة–مصر، ط1، 2010، ص54.

3- **الفعل الإنجازي:** وهو الإخبار في الأولى، والإِستفهام في الثانية، والأمر في الثّالثة، والتّمني في الرابعة.

مثال: 1. يغرس الطّفل الشجرة.

2. أيغرس الطّفل الشجرة؟

3. يا طفل اِغرس الشجرة.

4. لو يغرس الطّفل الشجرة.

4- **الفعل التّأثيري:** لم يلق هذا الفعل اِهتمامًا لدى "سيرل"، حيث رأى أنّه لا يدخل ضمن صميم الفعل الكلامي.

أولى "سيرل" من بين كلّ الأفعال الكلامية المذكورة سابقا الفعل الإنجازي عناية خاصّة واِهتماما كبيرا " على اِعتبار أنّ البحث في قضايا فعل القول ليس من صميم فلسفة اللّغة، وإنّما من اِختصاص اللّسانيات، كما أنّ البحث في فعل التّأثير يبقى محلّ شكّ وريبة، لكونه يتعدّى مجال التّداولية، وتركيزه على فعل الإنجاز قاده إلى التّمييز في كلّ ملفوظ بين الفعل القضوي والقوّة الإنجازية، ومعنى ذلك أنّ الجملة الّتي نتلفّظ بها تتضمّن محتوى قضويا، فضلا عن قوّة إنجازية ملازمة له".[1] فالقول مثلا " (أعدك بالزّيارة عمّا قريب)، يتضمّن محتوى قضويا متمثّلا في (سأزورك عمّا قريب)، وقوّة إنجازية متمثّلة في (أعدك)، وبذلك يكون المتكلّم قد عبّر عن رغبته في زيارة المخاطب عمّا قريب اِستنادا إلى جملة من الشروط المفضية إلى تأويل الملفوظ، وهي شروط تتعالق فيها مقاصد المتكلم من جهة، والعرف الاِجتماعي واللّغوي من جهة أخرى".[2] وسنفصّل في شروط نجاح هذا الفعل (الإنجازي) لاحقا.

[1]- جواد ختام، التّداولية أصولها واتّجاهاتها، كنوز المعرفة، عمان-الأردن، ط1، 2016، ص91،92.

[2]- المرجع نفسه، ص92.

شروط نجاح الفعل الإنجازي:

وضع "سيرل" مجموعة من الشّروط أو الأبعاد الّتي يُحتكم إليها في الحكم على نجاح الفعل الإنجازي في تعلّقه بالملاءمة، يختلف بها كلّ فعل إنجازي عن الآخر، والموجزة فيما يلي:

1- **الإِختلاف في الغرض الإنجازي للفعل:** تختلف الأفعال حسب أغراضها الإنجازية، فلكلّ فعل غرضه الخاص الّذي يتميّز به ويسعى نحو تحقيقه، " حيث يعدّ الغرض الإنجازي جزءًا من القوّة الإنجازية، لكنّه ليس إيّاها".[1] فالغرض الإنجازي من هذه الجملة مثلا: هل تساعدني على تحضير الدّرس؟ ليس الإِستفهام، بل طلب المساعدة.

2- **الإِختلاف في إِتّجاه المطابقة:** أي أنّ الكلمات تختلف وجهتها الإنجازية، " فإِتّجاه المطابقة في بعض الأفعال الإنجازية من الكلمات إلى العالم كالإخباريات Assertions، وهو في بعضها من العالم إلى الكلمات كالوعد والرّجاء".[2]

3- **الإِختلاف في الموقف النّفسي:** ينفرد كلّ فعل بحالة نفسية أو شعورية خاصة، فالمتكلّم الّذي يأمر يرغب بقيام السّامع بذلك الفعل، والّذي يعد يُعبّر عن مقصد الإنجاز، " وبصفة عامّة يُعبّر المتكلّم بأداء أيّ فعل غرضي بمحتوى قضوي عن موقف معيّن أو حالة".[3]

4- **الإِختلاف في القوّة أو الدّرجة الّتي يتمّ بها إنجاز الفعل:** تتباين الأفعال من حيث قوّتها الإنجازية، حيث أنّه " من المؤشّرات المميّزة للأفعال عن بعضها الشّدة أو القوّة، فهناك أفعال إنجازية يمكن أن تشترك في تحقيق

---

[1]- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، ص75. نقلا عن:
Searle . J.R :Expression and meaning .Studies in the theory of speech acts, Cambridge universitypress, 1981 , p2.

[2]- محمود أحمد نحلة، المرجع نفسه، ص76.

[3]- صلاح إسماعيل عبد الحق، التّحليل اللّغوي عند مدرسة أكسفورد، ص226.

غرض إنجازي واحد، ولكن بدرجات متفاوتة من الشّدة والقوّة".[1] فمثلا الجملتين: (سأزورك نهاية الأسبوع/ أعدك أن أزورك نهاية الأسبوع)، كلاهما يتحدّثان عن نفس القضية، وهي الزيارة نهاية الأسبوع، لكن من حيث القوّة فالجملة الثّانية أقوى في إنجازها من الجملة الأولى كونها تشتمل على قوّة إنجاز تتمثّل في الوعد.

5- **الإِختلاف في منزلة أو وضع المتكلّم والسّامع، من حيث أنّهما يؤثّران في القوّة الإنجازية للمنطوق:** إنّ المنزلة أو الدّرجة الّتي يوجد فيها كلّ من المتكلم والسّامع تلعب دورا فعّالا في تحقيق التّأثير على القوّة الإنجازية للفعل، فمثلا إذا طلب المدير تغيير برنامج العمل كان ذلك أمرا بالتّنفيذ، أمّا إذا طلب الموظّفون ذلك كان طلبا وإقتراحا لإعادة النّظر في برنامج العمل.

6- **الإِختلاف في طريقة اِرتباط القول بِاهتمامات المتكلم أو السّامع:** ذلك أنّهما يختلفان في طريقة اِرتباطهما بالأقوال، " كالإِختلاف بين المدح والرّثاء أو التّهنئة والتّعزية، وهو نمط آخر من أنماط الشّرط التّمهيدي Preparatory condition".[2]

7- **الإِختلاف في العلاقة بسائر عناصر الخطاب والسّياق الّذي يقع فيه:** فالمتكلّم دائما يراعي العلاقة بإعتبار السّياق بين الأفكار السّابقة واللّاحقة، في محاولة منه للرّبط بينها وتحقيق نوع من التّكامل والإِنسجام، " فقولك مثلا: أجيب، أو أستدل، أو أستنتج، أو أعترض على... يربط الأقوال التّالية بالأقوال السّابقة وبالسّياق الملابس لها".[3]

8- **الإِختلاف في المحتوى القضوي:** كالإِختلاف مثلا بين الشكر والعتاب، فالأوّل يستخدم للتّشجيع والدّعم لتحقيق الأفضل، في حين أنّ الثّاني يستخدم لوْمًا على فعل صاحبه وتأكيدا على عدم قبوله.

[1]- علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، ص58.
[2]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، ص76.
[3]- المرجع نفسه، ص ن.

9- **الإِختلاف بين الأفعال الّتي لا تكون إلّا أفعالا كلامية والّتي يمكنها أن تكون كلامية:** فمثلا يمكنني القول: سأشتري أضحية العيد لجارتنا الفقيرة، لكنّي قد لا أحتاج لقول هذا مطلقا، فيكفي فقط إِشتراء الأضحية وأخذها إلى منزل الجارة.

10- **الإِختلاف بين الأفعال الّتي تقتضي عرفا غير لغوي أو لا تقتضيه:** هناك أفعال لا تُنجز إلّا في عرف غير لغوي، " فلكي أعد بقدومي غدا، لن أكون بحاجة إلى إِتّباع القواعد العامّة للّغة، دون إِستدعاء لمؤسّسة خاصة، ولا تصدر كلّ الإِختلافات الوضعية بين المتكلمين عن المؤسّسات فقط".[1]

11- **الإِختلاف بين الأفعال الّتي يمكن أن تكون أدائية أو لا تكون:** معظم الأفعال الإنجازية تُؤدّى بالقول، لكن هناك بعض الأفعال الّتي لا يمكن أن تُنجز بمجرد القول فقط، " فالفعل (وعد) إنشائي بالضّرورة، أمّا الفعل (هدّد) فلا يمكن أن يكون إنشائيا بما أنّي لا أنجز عمل التّهديد بقولي (أهدّد)".[2]

12- **الإِختلاف في أسلوب أداء الفعل الإنجازي:** قد تتّفق بعض الأفعال الإنجازية في المضمون أو المحتوى القضوي والهدف، لكنّها تختلف بالضّرورة في أسلوب أدائها، " كالإِختلاف بين الإعلان والإسرار".[3]

[1]- فرانسوازأرمينكو، المقاربة التّداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، دط، دت، ص66.

[2]- فيليب بلانشيه، التّداولية من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، ط1، 2007، ص65.

[3]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، ص77.

أنماط الفعل الكلامي عند سيرل:

إتّجه "سيرل" بعد إنتهائه من وضع شروط نجاح الفعل الإنجازي نحو إعادة تصنيف الأفعال الكلامية، حيث جعلها في خمسة أصناف رئيسية، هي:

1- **الإخباريات:** تختصّ بنقل المتكلم وقائع وأحداث من خلال قضايا مختلفة، فهي إذن " أن نقدّم الخبر بوصفه تمثيلا لحالة موجودة في العالم".[1] يُضاف إلى ذلك أنّ " أفعال هذا الصّنف كلّها تحتمل الصّدق والكذب".[2]

2- **التّوجيهيات:** يهدف من خلالها المتكلّم إلى توجيه السّامع نحو فعل شيء ما؛ أي " محاولة جعل المستمع يتصرف بطريقة تجعل من تصرّفه متلائما مع المحتوى الخبري للتّوجيه".[3] فغايتها إذن تحقيق التطابق بين التّوجيه وردّ فعل المستمع، و" شرط الإخلاص فيها يتمثل في الإرادة أو الرّغبة الصّادقة، والمحتوى القضوي فيها هو دائما فعل السّامع شيئا في المستقبل. ويدخل في هذا الصّنف الإستفهام، والأمر، والرّجاء، والإستعطاف، والتّشجيع، والدّعوة، والإذن، والنّصح، بل التّحدّي أيضا".[4]

3- **الإلزاميات:** وهي مجموع الأفعال الّتي تهدف إلى " جعل المتكلّم ملتزمًا بإنجاز عمل".[5] وتعني إلتزام المتكلّم بإنجاز فعل أو تحقيق شيء ما للسّامع، و " شرط الإخلاص فيها هو القصد، والمحتوى القضوي فيها دائما فعل المتكلّم شيئا في المستقبل، وخير ما يُمثّل هذا الصّنف أفعال الوعد والوعيد".[6]

---

[1]- جون سيرل، اللغة والعقل والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي، تر: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006، ص117.

[2]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، ص78،79.

[3]- جون سيرل، المرجع نفسه، ص218.

[4]- محمود أحمد نحلة، المرجع نفسه، ص79.

[5]- فيليب بلانشيه، التّداولية من أوستن إلى غوفمان، ص66.

[6]- ينظر: محمود أحمد نحلة، المرجع نفسه، ص79.

4- **التّعبيريات:** يتجلّى الغرض الإنجازي لهذه الأفعال في " التّعبير عن الحالات النّفسية الّتي يمكن لها أن تتّخذ أشكالا من الجمل الّتي تعبّر عن سرور، أو ألم، أو فرح، أو حزن، أو عمّا هو محبوب وممقوت".[1] فهي مربوطة أساسا بالحالة النّفسية أو الشعورية، " وكلّ ما هو مطلوب الإخلاص في التّعبير عن القضية، ويدخل في هذا الصّنف أفعال الشّكر، والتّهنئة، والإعتذار، والتّعزية، والتّرحيب".[2]

5- **الإعلانيات:** الهدف منها تحقيق نجاح الفعل، " فإذا أدّيت أنا فعل تعيينك رئيسا للوفد أداءً ناجحا فأنت رئيس للوفد، وإذا أدّيت فعل إعلان الحرب أداءً ناجحا فالحرب معلنة. وأهمّ ما يميّز هذا الصّنف أنّه يحدث تغييرا في الوضع القائم، يُضاف إلى ذلك أنّه لا يحتاج إلى شرط الإخلاص".[3]

وقد عُدّ تصنيف "سيرل" البديل عن تصنيف "أوستن" أكثر دقّة وضبطا، حيث وُفّق في إعادة ربط كلّ صنف بما يخصّه ويناسبه من الأفعال.

نظرية أفعال الكلام بعد "أوستن"و"سيرل":

لم يتوقف الإهتمام بنظرية أفعال الكلام والبحث فيها مع رائدها "أوستن" ومطوّرها "سيرل"، بل سار على خطاهم عدّة لسانيين، حيث " عرضوا الكثير من قضاياها، لا سيّما مفهوم الفعل الإنجازي وشروط قيامه، ومفهوم القوّة الإنجازية ووسائل ظهورها في البنية أو إخفاقها".[4] ومن أبرز الّذين إهتمّوا بمواصلة البحث في قضايا أفعال الكلام:

[1]- ينظر: جورج يول، التّداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت-لبنان، ط1، 2010، ص90.

[2]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، ص80.

[3]- ينظر: نفسه، ص ن.

[4]- خليفة بوجادي، في اللّسانيات التّداولية: مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009، ص100.

1- أوزوالد ديكرو: هذا العالم اللّغوي الّذي " عرض اِنطلاق التّفكير في التّداولية المسمّاة تداولية مندمجة، من ملاحظة أنّ الدّلالات اللّغوية تتأثّر بشروط اِستخدام اللّغة، وهي شروط مقنّنة ومتحقّقة في اللّغة".[1] فالألفاظ والعبارات اللّغوية لا تُفهم دلالاتها بالنّظر إلى العمل اللّغوي الّذي تصفه وتُؤدّيه وليس بالاِعتماد على محتوى الجمل فقط، إنّما دلالة هذه الكلمات تُدرس وفق كيفية اِستعمال الجمل في الخطاب.

وقد قدّم "ديكرو" تعريفا تداوليًا مندمجا للاِقتضاء الّذي كان سببا في تطوّر التّداولية المندمجة، حيث يقول: " فليس الاِقتضاء هو ما يضمن اِستمرار الخطاب وحسب، بل إنّ القائل وهو ينتج عملا متضمّنا في القول إخباريا مثل: (ملك فرنسا حكيم)، يُنجز بصفة ثانوية عملا متضمّنا في القول اِقتضائيا؛ أي عملا مُقنّنا اِصطلاحيا في اللّغة".[2] فالمتكلّم إذن ينجز عملين أو فعلين في آن واحد.

كما تحدّث عن شروط الإنجازية، حيث يقول: " تكون جملة ما إنجازية إذا أمكن بعض من ملفوظاتها أن يكون كذلك، ويكون فعل ما إنجازيا إذا أمكنه صياغة الفعل المحوري لجملة إنجازية".[3] فالجمل الإنجازية حسبه تتحقّق إنجازيتها إذا كان بعض منها إنجازيا.

2-ديترو وريكاناتي:[4] عالمان متخصّصان في اللّغة، اِهتمّا بقضايا التّداولية، " وهما من الّذين اِنتقدو "أوستن" في بعض أقسام الأفعال إلى جانب "بنفنست" و "سيرل". واِقترحا أربعة أقسام فقط، هي:

---

[1]- ينظر: آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مرا: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت-لبنان، ط1، 2003، ص47.

[2]- المرجع نفسه، ص49.

[3]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التّداولية: مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص100،101. نقلا عن:

A .Cullioli (responsable) Laboratoie de linguistique formelle (équipe de recherche associée au CNRS, collection ERA 642 : Acte de langage et théorie de l énonciation, département de recherche linguistique (DRL), University paris Vll, France, 1985, p36.

[4]- ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التّداولية، ص69،70.

-أفعال إنجازية.

-أفعال إدراكية.

-أفعال قوّة الإنجاز.

-أفعال قوّة الإدراك.

المطلب الثالث: ملامح الأفعال الكلامية في التراث العربي

إنّ الاِهتمام بالسّياق لم يكن وليد الدّراسات أو النّظريات الغربية الحديثة، فقد زخر التّراث العربي القديم بمباحث ودراسات متنوّعة حول هذا الأخير، ربّما لم يكن لها الحظّ في التّنظير لهذا التّوجه أو التّيار المعرفي الجديد الّذي يدرس الكلام في الاِستعمال اللّغوي، إلّا أنّها وقفت على معظم جوانب المعنى وما يتّصل به من مقامات وسياقات تتعلّق بالمتكلّم والمخاطَب، وظروف إنتاج الأقوال.

أمّا عن ظاهرة الأفعال الكلامية، فقد " بُحثت في تراثنا العربي ضمن نظرية الخبر والإنشاء، اِشتغل عليها مجموعة من علماء العربية القُدامى على اِختلاف أصولهم وتوجّهاتهم من نحويين، وبلاغيين، وأصوليين، ونذكر منهم: أبو بشر عمرو بن قنبر المعروف ب: سيبويه، عبد القاهر الجرجاني، أبو يعقوب السّكاكي، جلال الدّين الخطيب القزويني، سعد الدّين التفتازاني وغيرهم".[1]

هذا وقد تعدّدت وتنوّعت تقسيمات العلماء للكلام، فقد قسّمه "السّكاكي" إلى خبر وطلب. فالخبر عنده " هو الكلام المحتمل للصّدق والكذب، أو التصديق والتكذيب... وأمّا في الطّلب فلأنّ كلّ أحد يتمنّى، ويستفهم، ويأمر، وينهى، وينادي يوجد كلّ ذلك في موضع نفسه عن علم، وكلّ واحد من ذلك طلب مخصوص،

[1]- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللّساني العربي، دار الطليعة، بيروت-لبنان، ط1، 2005، ص6،7.

والعلم بالطّلب المخصوص مسبوق بالعلم بنفس الطّلب، ثمّ إنّ الخبر والطّلب بعد اِفتراقهما بحقيقتهما يفترقان باللّازم المشهور وهو اِحتمال الصّدق والكذب".[1] فالكلام عنده إمّا خبر يحتمل الصّدق أو الكذب، وإمّا طلب في أشكال مختلفة (تمنّي، أمر، اِستفهام، نداء...).

أمّا "الخطيب القزويني" فقد قسّمه (الكلام) إلى خبر وإنشاء، ويتّضح ذلك جليّا في قوله: " ووجه الحصر أنّ الكلام إمّا خبر أو إنشاء".[2] وفي ذات السّياق يقول أيضا: " اِختلف النّاس في اِنحصار الخبر في الصّادق والكاذب، فذهب الجمهور إلى أنّه منحصر فيهما، ثمّ اِختلفوا فقال الأكثر منهم: صدقه مطابقة حكمه للواقع، وكذبه مطابقة حكمه له. وأنكر "الجاحظ" اِنحصار الخبر في القسمين وزعم أنّه ثلاثة أقسام: صادق وكاذب، وغير صادق ولا كاذب... فالصّدق عنده: مطابقة الحكم للواقع مع اِعتقاده. والكذب: عدم مطابقته مع اِعتقاده، وغيرهما ضربان: مطابقته مع عدم اِعتقاده، وعدم مطابقته مع عدم اِعتقاده".[3] أي أنّ الكلام عند "القزويني" خبر وإنشاء، وقد نقل اِختلاف الناس في تقسيم الخبر، فمنهم من جعله قسمين الصادق والكاذب، ومنهم من جعله في ثلاثة أقسام من مثل "الجاحظ" الّذي أضاف ضربان مطابقته وعدم مطابقته مع عدم اِعتقاده.

أمّا عن الاِهتمام بالسّياق " فحضور فكرة المقام (دلالة الحال) لا يحتاج إلى تأكيد وإثبات خاصّة في البلاغة، إذ يقوم جزء كبير منها وهو علم المعاني على هذه الفكرة، فهي تمثّل بالنّسبة لهذا الجزء الرّوح والجسد، وبدونه (المقام) لا يمكن أن نتكلّم عن علم يسمّى علم المعاني".[4] ويظهر ذلك جليا في دراسات علماء البلاغة، فهذا "أبو هلال العسكري" يقول: " وإذا كان موضوع الكلام على الإفهام، فالواجب أن تُقسّم طبقات الكلام على طبقات النّاس، فيخاطب السوقي بكلام السوقة، والبدوي بكلام البدوي، ولا يتجاوز به عمّا يعرفه إلى ما لا

[1]- أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد السّكاكي، مفتاح العلوم، تع: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1983، ص164.
[2]- جلال الدّين الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، دط، دت، ص16.
[3]- المرجع نفسه، ص19.
[4]- ينظر: بلقاسم حمام، فكرة المقام في النّحو العربي، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع11، ماي 2007، ص127.

يعرفه فتذهب فائدة الكلام، وتُعدم منفعة الخطاب".[1] وهذا "السّكاكي" في كتابه{مفتاح العلوم} يستعمل المقام للدّلالة على الغرض، في قوله: " لا يخفى عليك أنّ مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكّر يُباين مقام الشّكاية، ومقام التّهنئة يباين مقام التّعزية، ومقام المدح يُباين مقام الذمّ... ولكلّ من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر".[2] ذلك أنّهم كانوا يتخيّرون الكلمات وفق المقامات المختلفة المؤدّاة فيها، فلمقام الفرح مثلا كلمات تعبّر عنالسّعادة والبهجة والسّرور، ولمقام الحزن عكس ذلك كلمات تعبّر عن الأسى والألم والحزن.

ويُعرّف "السّكاكي" علم المعاني، بقوله: " اِعلم أنّ علم المعاني هو تتبّع خواصّ تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتّصل بها من الاِستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره...".[3]من خلال هذا التّعريف تتّضح العناية والاِهتمام الكبير من طرف علماء العربية القدامى بعنصر المقام أو ما عُرف عندهم بمقتضى الحال، حيث شكّل عنصرًا رئيسًا حقيقًا بالبحث والدّراسة لا يُمكن إغفاله وإهماله.

كما اِعتمد الأصوليون أيضا " منهجا تداوليا وظيفيا يستقرىء الدّلالات المتجدّدة في الأنماط المقامية المختلفة، فقد اِتّبعوا طريقتين في تحديد طبيعة ألفاظ العقود وتموقعها بين الخبر والإنشاء غير الطّلبي: الطريقة الأولى: تتبّع تحوّل صيغ "ألفاظ العقود" واِنتقالها من معنى أسلوبي إلى آخر، إذ تتراوح طبيعتها الأسلوبية بين الخبر والإنشاء غير الطّلبي. والطّريقة الثّانية: تتّجه إلى مراعاة المعنى، والغرض الّذي يتوخّاه المتكلّم، أي ملاحظة الأغراض والغايات الّتي يرتادها المتكلّم حين يتلفّظ بهذه الصيغ في المقامات والأحوال المناسبة".[4] الملاحظ أنّهم ركّزوا على

[1]- أبو هلال العسكري، كتاب الصّناعتين: الكتابة والشعر، تحق: علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، د ط، 1986، ص29.

[2]- أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد السكاكي، مفتاح العلوم، ص168.

[3]- المرجع نفسه، ص161.

[4]- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللّساني العربي، ص125.

الأغراض والغايات الّتي يريد المتكلّم إيصالها اِنطلاقا من تلفّظه هذه الصّيغ، بالاِعتماد في كلّ ذلك على التّنويع بين الخبر والإنشاء.

نخلص ممّا سبق إلى أنّ علماءنا لم يغفلوا في دراستهم اللّغة الجانب الاِستعمالي الحيّ فيها، والدّليل على ذلك غنى مباحثهم ومعالجاتهم على اِختلاف توجّهاتها بكلّ ما يتعلّق بذلك.

الفصل الثّالث:دراسة تطبيقية لأفعال الكلام في سورة (طه)

المبحث الأول: في رحاب السورة

المبحث الثاني: تجلّيات الفعل الكلامي في سورة (طه)

المبحث الأول: في رحاب السّورة

المطلب الأول: التّعريف بالسّورة

سورة (طه) هي السّورة العشرين في ترتيب المصحف الشريف، حيث تقع في الجزء السادس عشر من القرآن الكريم، والحزب الثّاني والثّلاثين، وهي " الخامسة والأربعون في ترتيب النّزول، نزلت بعد سورة مريم وقبل سورة الواقعة".[1] وهذه السّورة " مكيّة إلّا آيتي 130،131 فمدنيتان".[2] عدد آيها " في عدد أهل المدينة ومكة مائة وأربعا وثلاثين، وفي عدد أهل الشام مائة وأربعين، وفي عدد أهل البصرة مائة واِثنتين وثلاثين، وفي عدد أهل الكوفة مائة وخمسا وثلاثين".[3]

ورد في الرّوايات أنّ هذه السّورة كانت سببا في إسلام أحد أبرز الصحابة هوِ"عمر بن الخطّاب" رضي الله عنه كما تروي الرّوايات، حيث " نزلت قبل إسلام عمر بن الخطّاب لما روى الدّارقطني عن أنس بن مالك، واِبن إسحاق في سيرته عنه قال: خرج عمر متقلّدا بسيف. فقيل له: إنّ ختنتك وأختك قد صبوَا، فأتاهما عمر وعندهما خبّاب بن الأرتّ يُقرئهما سورة (طاها)، فقال: أعطوني الكتاب الّذي عندكم فأقرأه؟ فقالت له أخته: إنّك رجس، ولا يمسّه إلا المطهّرون فقُم فاِغتسل أو توضّأ. فقام عمر وتوضّأ وأخذ الكتاب فقرأ طه. فلمّا قرأ صدرًا منها قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه".[4] ليُعلن الصّحابيّ الجليل عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه إسلامه في "

[1]- محمد الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج16، الدار التّونسية للنّشر، تونس، دط، 1984، ص180.
[2]- أحمد مصطفى المراغى، تفسير المراغى، ج16، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1946، ص93.
[3]- محمد الطاهر بن عاشور، المرجع نفسه، ص181.
[4]- المرجع نفسه، ص180.

السّنة الخامسة من البعثة قُبيل الهجرة الأولى إلى الحبشة، فتكون هذه السّورة قد نزلت في أواخر السّنة الرّابعة من البعثة أو بدايات السّنة الخامسة".[1]

المطلب الثاني: التّسمية والفضل

أ-التّسمية:

مقصود سورة (طه) وهدفها هو " الإعلام بإمهال المدعوّين والحلم عنهم، والتّرفّق بهم إلى أن يكونوا أكثر الأمم زيادة في شرف داعيهم صلى الله عليه وسلّم، وعلى هذا المقصد الشّريف دلّ اِسمها بطريق الرّمز والإشارة، لتُبيّن أهل الفطنة والبصارة، وذلك بما في أوّلها من الحروف المقطّعة...".[2] أمّا عن تسمية السّورة، فسُمّيت بالحرفين المذكورين في أوّلها، وقد اِختلفوا حولها " فمنهم من قال أنّ (طه) اِسم من أسماء محمّد عليه الصّلاة والسّلام، ومنهم من قال أنّ (طه) تعني (يا رجل بالسريانية)".[3] هذا وقد ورد " في تفسير القرطبيّ عن مسند الدّرامي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: إنّ الله تبارك وتعالى قرأ (طاها) بإسمين قبل أن يخلق السّماوات والأرض بألفي عام، فلمّا سمعت الملائكة القرآن قالوا: طوبى لأمّة ينزل هذا عليها؛ الحديث. قال اِبن فورك: معناه أنّ الله أظهر كلامه وأسمعه من أراد أن يسمعه من الملائكة، فتكون هذه التّسمية مروية عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم".[4] وفي ذات السّياق " ذُكر في الإتقان عن السّخاوي أنّها تُسمّى أيضا (سورة الكليم) وفيه عن الهذلي في كامله أنّها تُسمّى (سورة موسى)".[5]

---

[1]- يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج16،ص181.

[2]- برهان الدّين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، ج12، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة-مصر، دط، دت، ص255.

[3]- يُنظر: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطيّة الأندلسي، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، تحق: عبد السّلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2001، ص36.

[4]- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتّنوير، ج16، ص179.

[5]- المرجع نفسه، ص ن.

وسبب نُزول هذه الآية (طه) الّتي سُمّيت بها السّورة وافتُتحت بها " إنّما هو ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم يتحمّله من مشقّة الصّلاة حتّى كانت قدماه تتورّم ويحتاج إلى التّرويح بين قدميه، فقيل له: طأ الأرض؛ أي لا تتعب حتى تحتاج إلى التّرويح، فالضّمير في (طه) للأرض، وخُفّفت الهمزة فصارت ألفا ساكنة وقُرأت (طه)، وأصله (طأ)، فحُذفت الهمزة وأدخلت هاء السّكت".[1] فكان هذا بمثابة ردّ للمنافقين و المشركين الّذين قالوا بأنّ محمّدًا صلى اللّه عليه وسلّم في شقاء مع ربّه، وفي هذا تأكيد أنّه لا شقاء لمن اِتّبع هذا القرآن الذي يهدي إلى الجنة و الرّضوان.

ب–الفضل:

في فضل سورة (طه) " روى البخاري عن ابن مسعود قال: بنو إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: هنّ من العتاق الأول، وهنّ من تلادي؛ أي من قديم ما حفظ من القرآن".[2]

المطلب الثالث: الأغراض والقصص الواردة في السّورة

أ–الأغراض:

اِحتوت سورة (طه) على مجموعة من الأغراض المختلفة، والملخصّة فيما يأتي:[3]

1- تحدّي الكُفّار والمشركين بعظمة القرآن الكريم، وذلك بذكر الحروف المقطّعة في أوّلها.

2- التّنويه والإشارة إلى أنّ هذا القرآن لم يكن إلّا تنزيل من العزيز الرّحيم لهدي القابلين للهداية؛ فأكثرها في هذا الشّأن.

[1]- أبو محمّد عبد الحق بن غالب بن عطيّة الأندلسي، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، ص 36.
[2]- وهبة الزحيلي، التفسير الوجيز على هامش القرآن العظيم، دار الفكر، دمشق–سوريا، دط، دت، ص323.
[3]- يُنظر: محمد الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج16، ص182،181.

3- التّنويه والتّأكيد على عظمة الخالق جلّ في علاه، وإثبات صدق نُبوّة المصطفى عليه الصّلاة والسّلام صاحب أعظم رسالة في تاريخ البشرية، وأنّها تُماثل رسالة أعظم رسول قبله شاع ذكره بين النّاس هو موسى عليه السّلام، فضُرِب المثل لنُزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلّم بكلام الله مع موسى عليه السّلام.

4- إنجاء الله موسى عليه السّلام وقومه وإغراق فرعون، وإكرام الله بني إسرائيل بإخراجهم من بلد القبط.

5- قصّة السّامريّ صانع العجل الّذي أضلّ بني إسرائيل في غياب موسى عليه السّلام.

6- الوعيد لمن أعرضوا عن القرآن ولم ينتفعوا بأمثاله ومواعظه.

9-تذكير النّاس بعداوة الشّيطان للإنسان، بما تضمّنته قصّة خلق آدم عليه السّلام.

10-بيان سوء الجزاء والعقاب في الآخرة للغاوين الّذين اِستحوذ عليهم الشّيطان.

11- تسليةالنّبي صلى الله عليه وسلم على ما يقوله الكُفّار والمنافقين، وتثبيته على هذا الدّين.

12-إثبات البعث، والتّهويل بيوم القيامة وما يتقدّمه من حوادث وأهوال.

ب-القصص:

محور سورة (طه) وموضوعها الرّئيس هو أنّ منهج الله تعالى منهج سعادة لا منهج شقاء بالرّغم من صعوبات التّكليف، بل كُلّ الشّقاء في ترك هذا الدّين السّمح والاِبتعاد عنه دُنيا وآخرة، فلا خوف في التّمسك بهذا الدّين، فكُلّ صعوبة على الطّريق تُرافقها رحمة واسعة وسعادة غامرة، ورضا عميق.

وقد اِحتوت هذه السّورة على مجموعة من القصص المتنوّعة، نلخّصها فيما يأتي:

1- مقدّمة السّورة وفيها بيان مهمّة القرآن وصفات الله جلّ في عُلاه الّذي أنزله.

2- قصّة موسى عليه السّلام (مع الله/ أمّه / فرعون/ السّحرة/ بني إسرائيل/ السّامريّ)، ثُمّ التّعقيب على القصّة وبيان جزاء المعرضين عن القرآن، ومشاهد من يوم القيامة.

3- قصّة آدم عليه السّلام وسُجود الملائكة له دون إبليس، ثمّ خروجهما من الجنّة إلى الأرض بعد الأكل من الشّجرة.

4- 4خاتمة السّورة المباركة ووصايا الختام.

ويمكن توضيح القصص أكثر في المخطّط التّالي:

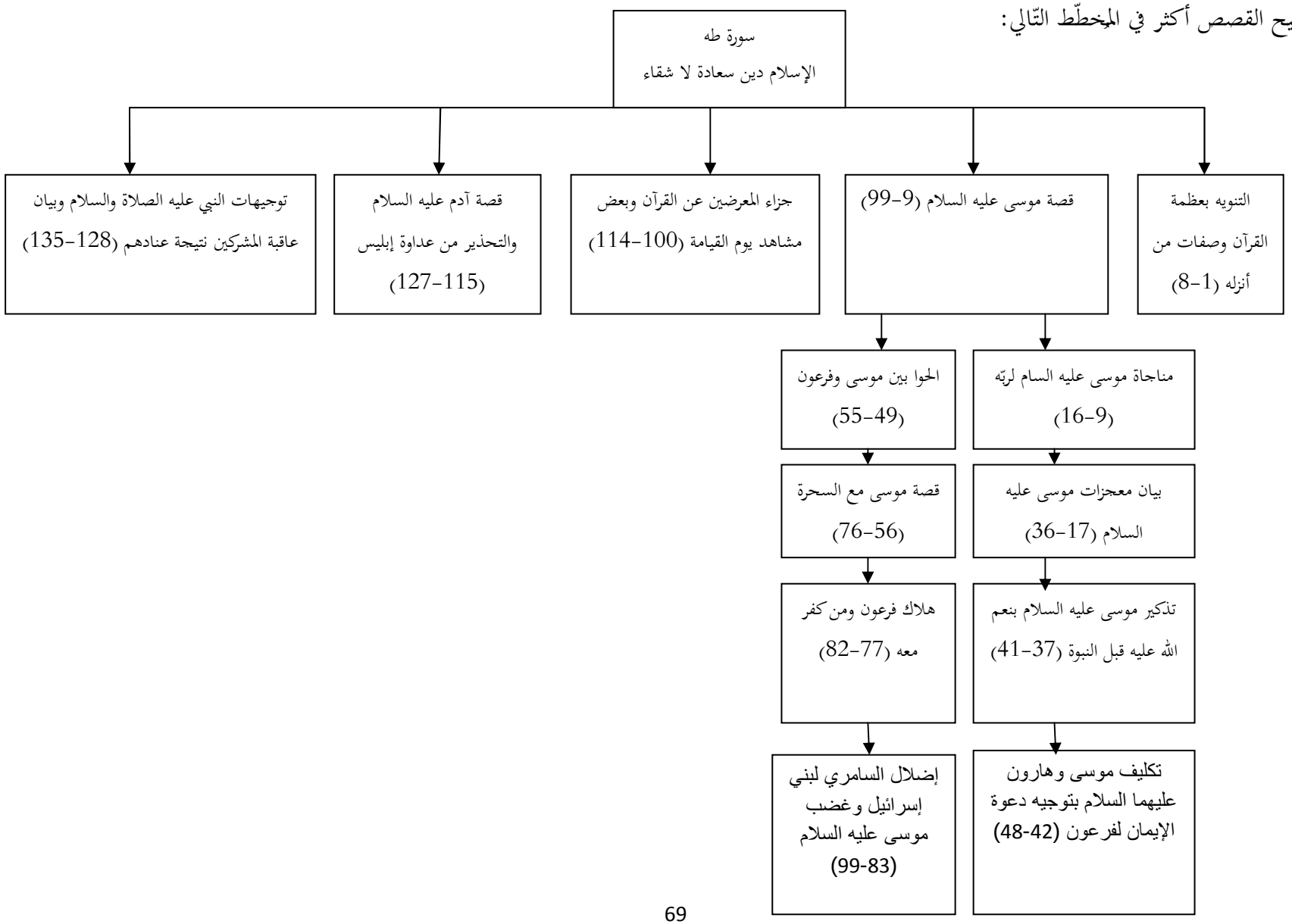

المطلب الرابع: السّياق المقامي التّبليغي العام لسورة (طه):

جاءت هذه السّورة غنيّة بالأفعال الكلامية بطبقاتها المختلفة، من أمر وإستفهام وطلب ودُعاء، فهي تتنوّع بتنوّع السّياق التّبليغي للآيات الكريمة وفق الأغراض والموضوعات الّتي إحتوتها السّورة المباركة، ويُصاحب ذلك بالضّرورة تغيُّر المكان والزّمان وأطراف الخطاب (حال المتخاطبين).

ونُوضّح مكوّنات السّياق المقامي التّبليغي العامّ لسورة طه وفقا لمخطّط "جاكبسون" التّبليغي في المخطّط أدناه:

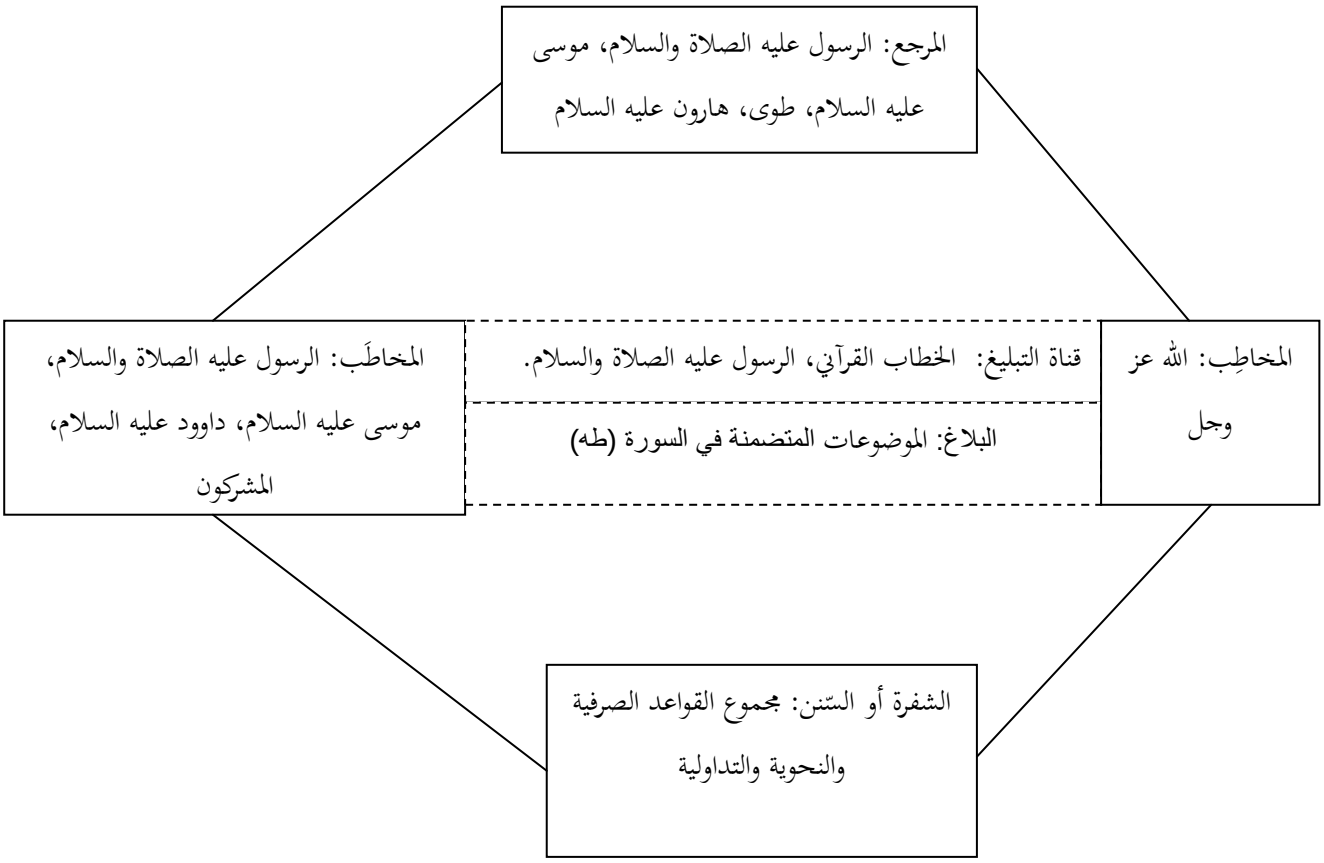

1- **المخاطِب**: متعدّد؛ الله سبحانه وتعالى والرّسول صلى الله عليه وسلّم صاحب أعظم رسالة في التّاريخ، موسى عليه السّلام، هارون عليه السّلام.

2- **المخاطَب**: متعدّد؛ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، موسى عليه السّلام، أمّ موسى عليهما السّلام، هارون عليه السّلام، فرعون، آدم عليه السّلام، المشركون بالله واليوم الآخر.

3- **المرجع**: يتمثّل في مجموع الأمكنة والأزمنة والشّخصيات الّتي أحالت إليها السّورة، والّتي نوضّحها فيما يأتي:

أ- **الشخصيات**: الرسول عليه الصّلاة والسّلام، موسى عليه السّلام، أمّ موسى، هارون عليه السّلام، فرعون، السّحرة، السّامري، بنو إسرائيل، آدم عليه السّلام، حوّاء، المشركون بالله.

ب-**الأمكنة**: مكّة، طوى، مدين، يوم الزّينة، البحر، الجنّة، الأرض.

ج- **الأزمنة**: الضّحى، اللّيل، النّهار.

4- **قناة التّبليغ**: الخطاب القرآني، المصحف الشّريف (الجزء16)، الرّسول عليه الصّلاة والسلام مبلّغ خطاب الوحي الّذي كُلّف بالردّ على المشركين الّذين قالوا بأنّ هذا الدّين دين شقاء، في محاولة منهم لفتر عزمه صلى الله عليه وسلّم، وضرب إيمانه وإستقامته.

5- **موضوع الخطاب**: مجموع الموضوعات والأغراض الّتي تضمّنتها السّورة، والّتي سنتطرّق إليها بالتّحليل فيما سيأتي لاحقا.

6- **السّنن أو الشّفرة**: مجموع القواعد الصّرفية، والنّحوية، والتّداولية الّتي صُنّفت وفقها الأفعال الكلامية الواردة في السّورة.

المبحث الثّاني: تجلّيات الفعل الكلاميّ في سورة طه

المطلب الأول: مُؤشّرات الفعل الإنجازي حسب مواضيع السّورة

الموضوع الأول: خطاب الوحي للرّسول عليه الصّلاة والسّلام، الموجّه لتحدّي الكُفّار والمشركين بعظمة القرآن الكريم (الآيات1–8).

أ–السّياق العامّ للآيات:

اِستُهلّت سورة (طه) بالحروف المقطّعة الّتي جاءت في العديد من سور القرآن الكريم كما في سورة البقرة وآل عمران، وغيرهما، وقد " اِفتُتحت السّورة بملاطفة النّبي صلى الله عليه وسلّم بأنّ الله لم يُرد من إرساله وإنزال القرآن عليه أن يشقى بذلك؛ أي تُصيبه المشقّة ويشدّه التّعب، ولكن أراد بالقرآن من يخاف وعيده".[1] وفي هذا تثبيت للنبيّ عليه الصّلاة والسّلام على هذا الدّين القيّم الّذي لا ولن يضيع أو يشقى أبدا من اِعتصم به، وتذكير له في الوقت نفسه بصعوبات التّبليغ، وحثّه على مواصلة نشر أعظم رسالة سماوية، وعدم الأخذ بما يزعمه المشركون وما يقولونه، أُعقب ذلك بالتّنويه بعظمة شأن القرآن الكريم بالنّسبة لمن أنزله ومن أُنزل عليه.

ب–السّياق المقامي التّبليغي للآيات:

يوجّه اللّه سبحانه وتعالى كلامه إلى النّبي عليه الصلاة والسلام بوصفه مبلّغ خطاب الوحي الموجّه هنا للردّ على المشركين الّذين ربطوا الشقاء بهذا الدّين؛ في محاولة منهم لإضعاف النبي عليه الصلاة والسلام، والحط من عزمه على مواصلة مجابهة صعوبات التّكليف والتبليغ الّتي تحفّ بكل رسالة ، وقد طمأن المولى عز وجل رسوله

[1]– محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج16، ص184.

الكريم بأنّ إنزال القرآن لا يتعلق بأي نوع من أنواع التعب والشقاء، بل كلّ السّعادة في التعلّق والتمسك به، ويمكن توضيح عناصر السياق المقامي التبليغي لهذه الآيات فيما يأتي:

المخاطِب: اللّه عز وجل.

المخاطَب: الرسول عليه الصلاة والسلام/المشركون الذين ربطوا الشقاء بهذا الدّين (القرآن).

المرجع: المشركون بهذا القرآن.

قناة التبليغ: الخطاب القرآني.

موضوع الخطاب: نفي المشقة عن الرسول عليه الصلاة والسلام ونفي تعلّقها بأيّ شكل من الأشكال بالقرآن الكريم.

السّنن: مجموع القواعد الصّرفية والنّحوية والتّداولية المتضمّنة في هذا الموضوع الأوّل من سورة طه.

اِفتُتحت السّورة بقوله تعالى: (طه (1)) طه-(1). حيث قيل: " هما حرفان مقتضبان من فعل (طأ) أمرًا من الوطء. ومن (ها) ضمير المؤنّثة الغائبة عائد إلى الأرض".[1] وفيها فعل كلامي غير مباشر يُفهم من سياق الآية الكريمة، محتواه القضوي أمر للرّسول عليه الصّلاة والسّلام بوطأ الأرض بقدميه معًا بُغية التّخفيف ودفع المشقّة والتّعب عنه، قوّة إنجاز الفعل هنا غير مباشرة؛ تتمثّل في الأمر بإعتباره أمرًا حقيقيا من الأعلى إلى الأدنى عن طريق صيغة فعل الأمر المباشر(طأ)، غرض إنجاز الفعل هنا يتمثل في أمر النّبي عليه الصّلاة والسّلام بوطأ الأرض بقدميه معًا بُغية التّخفيف عنه، وتسخير الأرض له صلى الله عليه وسلّم.

[1]- محمد الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج16، ص183.

وجاءت الآية الثّانية من هذه السّورة كتأكيد على نفي تعلُّق الشّقاء بالقرآن الكريم، ففي قوله تعالى: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2)﴾ طه-(2). فعل كلامي مُباشر (ما أنزلنا/ لتشقى)، يُفهم من سياقه العامّ أنّ محتواه القضوي يتجلّى في نفي تعلّق الشّقاء بالرّسول صلى الله عليه وسلّم بنُزول القرآن الكريم عليه، قوّة إنجاز الفعل مباشرة تتمثّل في النّفي؛ مؤشّره (ما)، غرضه الإنجازي تذكير وتثبيت الرّسول عليه الصّلاة والسّلام ومن آمن معه. وقد تلى هذا مباشرة قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (3)﴾ طه-(3). فالفعل الكلاميّ هنا (يخشى) يحمل محتوى قضويا يتمثّل في تقرير حُسن العاقبة لمن يتذكّر ويتفكّر في القرآن ويُعظّمه، وفيه بيان لمقاصد المتكلّم؛ والّتي تتمثّل من خلال سياق الآية الكريمة في دعوة المخاطِب (المولى عزّ وجلّ) المخاطَب (الرّسول صلى الله عليه وسلّم) إلى التّأمّل والتّفكّر في هذا القرآن العظيم وتدبُّر آياته، قوّة إنجاز الفعل مباشرة تتمثّل في الشّرط؛ الّذي مؤشّره (مَن)، فالعاقبة الحسنة لاتكون إلّا لمن يتذكّر القرآن ويتّبع هُداه، ويخشى الله، وغرض إنجاز الفعل يتجلّى في التّنويه بشأن القرآن وعظمته والدّعوة إلى العناية به.

تتغيّر مقاصد الخطاب القرآني من التّنويه بشأن القرآن الكريم وعظمته إلى التّذكير بعظمة الخالق الّذي أنزله، حيث يقول الله عز وجلّ: ﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا (4)﴾ طه-(4). في هذه الآية فعل مُباشر (خلق)، مُحتواه القضوي يبرُز في تقرير عظمة الخالق عزّ وجلّ الّذي خلق السّماوات والأرض وما بينهما وما عليهما، المالك لكلّ شيء، القوّة الإنجازية لهذا الفعل غير مباشرة بالِاعتماد على السّياق يُفهم أنّها تكمن في تذكير المشركين بأنّ كلّ ما في الكون في قبضته عزّ وجلّ، أمّا الغرض الإنجازي فمضمّنه تصوير عظمة الخالق جلّ في علاه، والتّذكير بقدرته العظيمة. وفي قوله أيضا: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5)﴾ طه-(5). فعل كلامي مباشر (اِستوى)، محتواه القضوي زيادة تقرير وتصوير عظمة الخالق عزّ وجلّ، وسعة رحمته وسلطانه، قوّته الإنجازية غير مباشرة؛ يُفهم من سياق الآية أنّها تتمثّل في " تعليم النّاس به عزّ وجلّ، لأنّ المشركين أنكروا تسميته تعالى

بالرّحمن".[1] أمّا الغرض الإنجازي لهذا الفعل فيكمن في الزّيادة في تصوير عظمة الخالق عزّ وجلّ وبيان سعة سلطانه.

وفي قوله تعالى: (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (6)) طه-(6). تأكيد على أنّ الملك لله وحده لا شريك له، جاء فعل الكلام هنا غير مباشر يُوضّحه السّياق الّذي يدُلّ ها هنا على أنّ الله تعالى يملك جميع ما في السّماوات وما في الأرض وما عليهما وما بينهما، ويُحيط بكلّ هذا إحاطة كاملة، محتواه القضوي اِقتضاء ببيان سعة ملك الله تعالى وقدرته على الحكم والتّدبير، قوّة إنجازه غير مباشرة؛ وهي التّنبيه والتّذكير؛ أي تذكير المشركين بأنّ الملك لله وحده، وغرضه الإنجازي التّقرير بعظيم سلطانه عزّ وجلّ وقدرته العظيمة وإحاطته بكلّ شيء. ليأتي بعد ذلك تخصيص بسعة علمه وإحاطته الكاملة بكلّ شيء، وذلك في قوله تعالى: (وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7))طه-(7). تضمّنت هذه الآية الكريمة فعلين كلاميين مباشرين (إن تجهر/ يعلم)، محتواهما القضوي بيان تمام علم المولى عزّ وجلّ؛ فحتّى الخفايا المضمَرة يحيط بها علما تامّا، قوّتهما الإنجازية غير مباشرة تتمثّل في تذكير الرّسول عليه الصّلاة والسّلام بأنّ الله يعلم السّرّ وأخفى منه؛ كي لا يشقّ على نفسه في الجهر بكلّ شيء، " فإنّه عالم به وغير محتاج إلى الجهر".[2] وغرضهما الإنجازي تقرير بسعة وتمام علم المولى عزّ وجلّ.

وفي سياق التّنويه بعظمة الخالق عزّ وجلّ وبيان وحدانيته، وعظيم أسمائه، يقول تعالى: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (8)) طه-(8). فعل الكلام في هذه الآية غير مباشر يُفهم من السّياق، فالمعنى هنا وحدانية الخالق وكأنّ التّقدير (الله الّذي لا يوجد إله إلّا هو له الأسماء الحسنى)، فأسماؤه لايحقّ أن يُنادى بها غيره؛ لأنّها تخصّه وحده جلّ في عُلاه، محتوى الفعل اِقتضاء ببيان اِنفراد الله بأسمائه الحسنى الّتي يجب دعوته بها، قوّته الإنجازية

[1]- يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج16، ص186.

[2]- برهان الدّين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدّرر في تناسُب الآيات والسّور، ج12، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة-مصر، دط، دت، ص269.

مباشرة تتمثّل في النّفي الّذي مؤشّره (لا)، وغرضه الإنجازي تقرير وحدانية الخالق وبيان أسمائه الحسنى وصفاته العلى.

الموضوع الثّاني: التّذكير بقصّة موسى عليه السّلام (الآيات9-99).

أ-السّياق العامّ للآيات:

أعقبت اِفتتاحية السّورة الّتي جاءت كملاطفة للنبيّ عليه الصّلاة والسّلام بذكر قصّة سيّدنا موسى عليه السّلام، الّتي وردت في أكثر من موضع في القرآن الكريم، حيث تكرّرت سبعة عشر مرّة، لكنّها عولجت في كُلّ مرّة من زاوية دون الزّوايا الأخرى، وهذا من حكمة الله البالغة وإعجازه في نظم هذا القرآن المبارك، وهذه أطول رواية لها، حيث جاء أكثر من نصف السّورة حول تفصيل أحداثها. " وفي ذكر قصّة موسى بأسرها في هذه السّورة تسلية للنّبي عمّا لقي في تبليغه من المشقّات وكُفر النّاس، فإنّما هي له على جهة التّمثيل في أمره".[1]

وتُعدّ قصّة موسى عليه السّلام من أعظم القصص القرآني، تنوّعت أطراف الخطاب فيها بين مُؤمن وكافر، حيث عرضت لخطاب الله موسى عليه السّلام، وبَيان المعجزات الّتي أيّده الله بها كدليل على العناية الرّبانية الّتي حظي بها موسى عليه السّلام منذ نشأته، تبعها مناجاة موسى عليه السلام بأن يُيسّر له الطّريق ويُرسل معه أخاه هارون عليه السلام بغية تبليغ الرّسالة على أكمل وجه، ليأتي بعدها تذكير بمنّة ربّانية أخرى حظي بها موسى عليه السلام؛ وهي نفي الحزن عن أمّه وحمايته من الغرق ومن ظلم فرعون، يلي ذلك خطاب الله لموسى عليه السلام حول قصد الاِصطفاء والاِختيار؛ الذّهاب إلى الطّاغية فرعون وأمره بالخضوع للرّسالة، والكفّ عن التجبر والظّلم والطّغيان، يلي ذلك إظهارهما (موسى وهارون عليهما السلام) الخوف من طُغيان فرعون وتجبّره، وبالمقابل طمأنة

[1]- أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، تحق: عبد السّلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2001، ص38.

الخالق لهما بأنّه معهما في كلّ مراحل الدّعوة، وأمره لهما في الوقت نفسه بنصح فرعون وتوجيهه، يتبع ذلك اِنصياعهما لأمر الخالق وتبليغ الرّسالة لفرعون الّذي أبى إلّا أن يواصل السّير في طريق الكفر والعصيان.

يُذكر بعد ذلك قصّة السّحرة مع سيّدنا موسى عليه السلام، ومبارزتهم له وغلبته عليهم، وتهديد فرعون ووعيده لهم بعد إعلانهم الإيمان بما جاء به موسى وأخوه عليهما السّلام، ثمّ ذكر نجاة موسى وأتباعه من الّذين آمنوا وهلاك فرعون ومن كفر معه بالغرق، ليذهب موسى عليه السلام متعجّلا للقاء ربّه ومناجاته، وبالمقابل قصّة السّامريّ الّذي أضلّ بني إسرائيل، الّذين أعرضوا عن نصح هارون عليه السلام لهم، وقد خُتمت القصّة بعودة سيدنا موسى عليه السلام وإبدائه الغضب ممّا حلّ بقومه، ولوم هارون عليه السّلام الّذي لم يتفان فيما أمره به، وبيان عاقبة السّامري الّذي أضلّ قومه.

السّياق المقامي التّبليغي للآيات:

يوجّه الله عز وجلّ خطابه في مطلع القصّة إلى النبي عليه الصلاة والسّلام بِاعتباره مبلّغ الخطاب القرآني، يُنقل من خلاله تفاصيل قصّة النبي موسى عليه السلام مع بني إسرائيل بمختلف مراحلها ومحطّاتها، وذلك تثبيتا له صلى الله عليه وسلّم وتسليةً لروحه الطّاهرة، وتتمثّل عناصر السّياق المقامي التّبليغي للآيات فيما يلي:

المخاطِب: متعدّد؛ الله عزّ وجلّ/ الرّسول صلى الله عليه وسلّم/ موسى وأخوه عليها السّلام/ فرعون.

المخاطَب: متعدّد؛ الرّسول صلى الله عليه وسلّم/ المشركون/ موسى وأخوه عليهما السّلام/ فرعون/ السّامري/ بنو إسرائيل.

المرجع: المشركون بالقرآن.

قناة التّبليغ: الخطاب القرآني.

موضوع الخطاب: نقل أحداث وتفاصيل قصّة موسى عليه السّلام.

السّنن: مجموع القواعد الصّرفية، والنّحوية، والتّداولية المتضمّنة في هذا الموضوع الثّاني من سورة (طه).

في ذكر قصّة موسى عليه السّلام تسلية للنبي عليه الصّلاة والسّلام على ما يقوله المشركون لتثبيته على الصّبر وتحمّل أعباء الرّسالة، ففي قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (9)﴾ طه-(9). فعل كلامي مباشر (هل أتاك)، يحمل محتوى قضويا يتمثّل في تسلية الرّسول عليه الصّلاة والسلام بقصص السّابقين، بُغية تثبيته على هذا الدّين القيّم، قوّة إنجاز الفعل مباشرة وهي الإستفهام؛ ومؤشّره (هل)، وهو " إستفهام إثبات وإيجاب، معناه: أليس قد أتاك **!**وقيل: معناه: وقد أتاك".[1] غرض إنجاز هذا الفعل التّسلية والتّشويق للنبي صلى الله عليه وسلّم، والتّنبيه للإصغاء لما ينزل عليه ويُخاطب به من وحي. وفي قوله تعالى أيضا: ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ إِذْ رَأَى نَارًا أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10)﴾ طه-(10). زيادة في تشويق النبي عليه الصّلاة والسّلام إلى إستطلاع المزيد من أحداث القصّة (قصّة موسى) ففي هذه الآية الكريمة أفعال كلامية مباشرة (رأى/ فقال/ امكثوا/ آنست/ آتيكم/ أجد)، من خلال السّياق يُفهم بأنّ محتواها إقتضاء بلفت إنتباه النبي عليه الصّلاة والسّلام وشدّ سمعه عن طريق عنصر التّشويق، تتعدّد القوى الإنجازية لهذه الأفعال، حيث نجد الأمر عن طريق فعل الأمر الصّريح (امكثوا)، والرّجاء؛ عن طريق أداة التّرجّي (لعلّ)، الغرض الإنجازي لهذه الأفعال هو زيادة تشويق النّبي عليه الصّلاة والسّلام لسماع بقيّة القصّة، والهداية (هداية موسى عليه السّلام وأهله إلى الطّريق). ويستمرّ التّشويق في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11)﴾ طه-(11). بُني فعل النّداء للمجهول (نودي)، محتواه زيادة تشويق النبي عليه الصّلاة والسّلام لمعرفة المزيد من أحداث القصّة، قوّة إنجازه مباشرة تتمثّل في النّداء؛

[1]- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: والمبيّن لما تضمّنه من السّنّة وآي الفرقان، ج14، تحق: عبد الله بن عبد المحسن التّركي بمشاركة محمد رضوان عرقسوسي وماهر حبوش، مؤسسة الرّسالة، بيروت- لبنان، ط1، 2006، ص17،18.

من خلال المؤشّر (يا)، وهذا إكرام من الله عزّ وجلّ لموسى عليه السّلام؛ لأنّه حظي بمناداة الخالق له دون واسطة، أمّا الغرض الإنجازي للفعل فواضح من خلال سياق الآية الكريمة وهو زيادة تشويق النبي عليه الصّلاة والسّلام.

وعلى هذا المنوال تغيّر مقصد الخطاب القرآني إلى مخاطبة المولى عزّ وجلّ نبيّه موسى عليه السّلام في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12)﴾ طه-(12). ففي الآية الكريمة فعل كلامي مباشر (فاِخلع)، محتواه القضويّ بالنّظر إلى السّياق يكمن في إكرام موسى عليه السّلام وتحبيبه وتقريبه، قوّته الإنجازية مباشرة تتمثّل في الأمر الوارد هنا بصيغة فعل الأمر الصّريح؛ وهو أمر حقيقي من الله إلى موسى، غرضه الإنجازي التّقريب والتّحبيب والتّعظيم، " أمره بذلك لأنّ الحفوة تواضع وأدب، ولذلك طاف السّلف حافّين. وقيل لنجاسة نعليه فإنّهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ. وقيل معناه: فرِّغ قلبك من الأهل والمال".[1]

وقد تكفل المولى عزوجلّ بتسكين روع موسى وتهدئته ممّا تملّكه من خوف ورهبة نتيجة ما حدث، حيث يقول تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13)﴾ طه-(13). فعل الكلام في هذه الآية مباشر (اخترتك/ فاِستمع) يتفق ومقاصد المتكلم فمن خلال السياق يفهم أنّ الغرض منه هو الاِستعداد لتلقي الوحي، المحتوى القضوي يتجلى في الدّعوة إلى تطبيق الأمر الموجه للنبي موسى عليه السلام، وهو الاِستماع للوحي الذي سينزل عليه، وتجنّب الاِنشغال بأيّ شيء يُلهيه عن ذلك، قوة إنجاز الفعل هنا مباشرة وهي الأمر (فاِستمع)؛ وهو أمر حقيقي غرضه الإنجازي التفرّغ لتلقي الوحي من الله عزوجل؛ أي أنه جلّ في علاه " اِصطفى موسى لنبوة بني إسرائيل".[2]

[1]- ناصر الدّين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشّيرازي الشافعي البيضاوي، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: المعروف بتفسير البيضاوي، ج4، إعداد وتق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت-لبنان، ط1، دت، ص24.

[2]- المرجع نفسه، ص ن.

بعد إقرار الإصطفاء والإختيار للنبوة بيّن المولى عز وجل لنبيّه موسى عليه السلام مقاصد الإختيار وهي توحيد الخالق عز وجل والإخلاص في أداء العبادات لتحقيق رضاه، يتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14)﴾ طه-(14). تجمع هذه الآية بين المباشر من أفعال الكلام وغير المباشر منها، فمن المباشر مثلا: (أقم/ فاعبُدني)، و بالإعتماد على السياق يظهر أنّ فعل الكلام غير المباشر يتمثل في التقرير بتوحيد الخالق عز وجل، وكأنّ التقدير: (إنّني أنا الله لا يوجد إله إلّا أنا)، المحتوى القضوي هنا يكمن في توحيد الله وإخلاص العبادة له، وقوة الإنجاز مباشرة تتمثل في الأمر (فاعبدني/ أقم) وهو أمر حقيقي صريح، أمّا الغرض الإنجازي فهو إفراد الله وحده بالعبادة عن طريق الأمر بالطّاعة والإستجابة لما قيل، وهو " أمر بالعبادة التي هي كمال العمل، وإفرادها لله وحده دون غيره عن طريق شغل القلب واللسان بذكره والثناء عليه".[1]

تلى ذلك إثبات الجزاء؛ أي أنّ السّاعة قادمة لا محالة ولا يعلم وقت قيامها إلّا الله، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15)﴾ طه-(15). أفعال الكلام في هذه الآية (أكاد/ لتُجزى/ تسعى)؛ بالنّظر إلى السّياق يُفهم بأنّ محتواها القضوي إقتضاء بمقاربة قيام السّاعة، والملاحظ هنا أنّ (كاد) نُفي عملها، حيث " أوّلت في أربعة تأويلات: أحدها: أنّه يريد أن لا يُظهر عليها أحد؛ أي يُخفيها، والثّاني: أكاد أخفيها من نفسي؛ أي تبعيد الوصول إلى علمها، والتّقدير: إذا كنت أخفيها من نفسي فكيف أُظهرها لك؟، والثّالث: معناه أنّ السّاعة آتية أكاد آتي بها تقريبًا لورودها، والرّابع: أنّ معنى أخفيها أُظهرها".[2] أمّا الفعل (لتجزى) فقيل أنّه جاء بوجهين: " أحدهما: أنّه على وجه القسم من الله، والثّاني: أنّه إخبار من الله".[3]

[1]- ناصر الدّين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشّيرازي الشافعي البيضاوي، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: المعروف بتفسير البيضاوي، ص 24.

[2]- يُنظر: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، النّكت والعيون: تفسير الماوردي، ج3، تع ومرا: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرّحيم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، دط، دت، ص397،398.

[3]- يُنظر: المرجع نفسه، ص398.

القوّة الإنجازية هنا غير مباشرة تتمثّل في التّذكير بقدوم السّاعة وإثبات الجزاء، والغرض الإنجازي يكمن في إثبات الجزاء بقدوم السّاعة، فكلّ نفس تُجزى بما عملت ولا يظلم ربّك أحدا.

يلي هذا مباشرة نهي موسى عليه السّلام عن الصّدّ عن الإيمان بالسّاعة؛ في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (16)﴾ طه-(16). الأفعال الكلامية هنا (لا يصدّنّك/ يؤمن/ اِتّبع/ فتردى) مباشرة، محتواها القضوي بيان سوء الجزاء لكلّ من أعرض عن الإيمان بالسّاعة، ونهي موسى ومن جاء بعده عن الكفر بها، القوّة الإنجازية مباشرة تتمثّل في النهي عن طريق حرف النّهي (لا)؛ أمّا الغرض الإنجازي هنا فهو النّهي عن أدنى شيء يحول بينه (موسى عليه السلام) وبين الإيمان بالسّاعة، وهو نهي عن ملابسة صدّ الكفّار عن الإيمان بالسّاعة، والتّذكير والتّحذير والوعيد بسوء العاقبة والهلاك لكلّ من كفر بها. ويستمرّ خطاب المولى عزّ وجلّ ومحاورته لنبيّه موسى عليه السّلام، في محاورة أراد الله تعالى بها إظهار المعجزات الّتي أيّده بها لتثبيته، ودفع الشكّ عنه، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17)﴾ طه-(17). فعل كلامي غير مباشر يُفهم من سياق الآية الكريمة، وكأنّ التّقدير هنا (وما يوجد بيمينك يا موسى؟)، محتواه القضوي تنبيه موسى عليه السّلام للاِستماع لما سينزل عليه، قوّته الإنجازية مباشرة تتمثّل في الاِستفهام؛ ومؤشره (ما الاِستفهامية)، غرضه الإنجازي تحقيق حقيقة المسؤول عنه (العصا) لطمأنة موسى عليه السّلام، وهو " تقرير مضمّنه التّنبيه؛ وجمع النّفس لتلقّي ما يُورد عليها".[1] والاِستفهام هنا مجازي، لأنّ الله يعلم كلّ شيء ولا يحتاج إلى الزّيادة من علم أحد فهو المتفرّد بالكمال في كلّ شيء. وقد أجاب موسى عن الاِستفهام المطروح ببيان ماهية الشّيء المسؤول عنه (العصا) وذكر بعض فوائده، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18)﴾ طه-(18). فأفعال الكلام هنا (قال/ أتوكأ/ أهش) مباشرة، محتواها القضوي التّعجب من السؤال،

[1]- عبد الرّحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثّعالبي المالكي، تفسير الثّعالبي: المسمّى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج4، تحق وإخراج: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود بمشاركة عبد الفتاح أبو سنّة، دار إحياء التّراث العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1997، ص48.

قوتها الإنجازية غير مباشرة مضمّنها الإجابة عن الِاستفهام المطروح، غرضها الإنجازي التّعجب من الِاستفهام، ولأنّ المقام مقام تشريف جاء الإطناب في الإجابة بتعداد بعض فوائد العصا.

أمر المولى عز وجل بعد ذلك موسى عليه السلام بإلقاء العصا، بغرض تعريفه بالمعجزات التي خصّه وكرّمه بها، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (19)﴾طه-(19). فالفعل الكلامي هنا (ألقها) مباشر، وفيه اِقتضاء بتنفيذ الأمر الموجّه (إلقاء العصا)، قوّته الإنجازية مباشرة وهي الأمر(ألقها)، غرضه الإنجازي إكرام الله لموسى عليه السلام؛ بأن أنعم عليه بمعجزات لمساعدته فيما بعد على نشر الرسالة التي كلّف بها. وقد اِنصاع موسى عليه السلام لأمر الخالق عزّ وجلّ، بإلقائه العصا التي اِنقلبت حيّة تسعى، ويتجلّى ذلك في قوله تعالى:﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (20)﴾ طه-(20). فعل الكلام هنا مباشر (فألقاها/ تسعى)، بالاِعتماد على السياق يظهر أنّ محتواه القضوي يتمثل في إظهار قدرة الخالق جلّ في علاه وتأييده موسى بمعجزات، القوة الإنجازية غير مباشرة تبرز في تطبيق موسى أمر ربه وتنفيذ ما أمر به، وغرض الإنجاز مدلوله إظهار قدرة الخالق الذي صيّر العصا حية تسعى؛ " أي تنتقل وتمشي، وتلتقم الحجارة".[1]

تملّك الخوف قلب موسى عليه السّلام بعد رُؤيته ما آلت إليه العصا، فجاءت الطّمأنة له من الله عزّ وجلّ بنهيه عن الخوف ممّا رآه، وأنّه تعالى في قدرته سيتكفّل بإرجاعها (العصا) إلى أصلها الأوّل، حيث يقول تعالى: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (21)﴾ طه-(21). الأفعال الكلامية الواردة هنا (قال/ خُذها/ لا تخف/ سنُعيدها) أفعال مباشرة، من خلال السّياق يُفهَم بأنّ مقصد المتكلّم هنا هو توجيه المخاطَب إلى اِستحضار المعجزة في أوانها، محتوى هذه الأفعال هو طمأنة موسى عليه السّلام بإعادة العصا سيرتها العادية، تتنوّع قوى الإنجاز، وهي قوى مباشرة، فمنها الأمر (خُذها)، والنّهي الّذي مُؤشّره (لا)، أمّا الغرض الإنجازي فيتمثّل في التّهدئة من روع موسى عليه السّلام، وتثبيته بعد أن رأى العصا حيّة تلتقم كلّ ما تجده في طريقها بعد

[1]- ينظر: عبد الرّحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثّعالبي المالكي، تفسير الثّعالبي: المسمّى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج4، ص52.

تحوُّلها من حال إلى حال أو من وضعية إلى أخرى، فهذا التّغيّر الّذي يُحدثه التّلفّظ بالفعل الكلاميّ؛ أي الإنجاز المتحقّق بواسطة الفعل الكلاميّ (خُذها) قائم على معرفة المقاصد الّتي يتضمّنها الفعل الكلاميّ. وفي قوله تعالى: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (22)﴾ طه-(22). معجزة أخرى لموسى عليه السّلام بُغية إثبات صدق نُبوّته، فالفعل الكلاميّ (اضمم/ تخرج) مباشر، محتواه القضوي الإنعام على موسى عليه السّلام بمنّة أخرى، قوّته الإنجازية مباشرة تتمثّل في الأمر الحقيقي؛ من خلال فعل الأمر (اضمُم)، أمّا الغرض الإنجازي فمضمونه التّذكير؛ أي تذكير موسى عليه السّلام بمنن الله عليه، " والجناح هنا الجنب أي تحت الإبط، وهو اِستعارة من جناح الطّائر، فتخرج اليد بيضاء كالشّمس من غير برص ولا عاهة".[1]

وفي ذكر هذه الآيات والمنن إظهار وتذكير بقدرة المولى عزّ وجلّ على غيرها، حيث يقول تعالى: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (23)﴾ طه-(23). فالفعل الكلاميّ (لنُريك) مباشر، محتواه القضوي تقرير بقدرة الخالق العظيم، قوّته الإنجازية غير مباشرة من خلال السياق يفهم بأنّها تتمثّلفي بيان المعجزات العظيمة الّتي أُيدّ بها موسى عليه السّلام والّتي لا يقدر إلّا الله عليها، وهذا من عظيم قدرته تعالى، غرضه الإنجازي تذكير موسى عليه السلام بقدرة المولى عزّ وجل " أي كرّرنا الآيات لنريك بعض آياتنا فتعلم قدرتنا على غيرها؛ أي آياتنا القويّة الدّالة على قدرتنا وأنّا أرسلناك".[2] لهداية بني إسرائيل.

بعد إظهار الآيتين لموسى عليه السّلام أفصح الخطاب القرآنيّ وفق سياق هذه الآية الكريمة عن سبب اِختيار موسى عليه السّلام واِصطفائه، حيث قال تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (24)﴾ طه-(24). وهو الذّهاب إلى فرعون ودعوته إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له، فجاء الفعل الكلامي مباشرا (اِذهب/ طغى) ينسجم ومقاصد المتكلّم، محتواه القضويّ أمرٌ بالذّهاب إلى فرعون بُغية تقديم النّصح له نتيجة ما هو عليه من

[1]- أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزيّ الكلبي، التّسهيل لعلوم التّنزيل، ج2، ضبط وتصحيح وإخراج: محمّد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1995، ص17.

[2]- يُنظر: محمد الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير،ج16، الدّار التّونسية للنّشر، تونس، دط، 1984، ص209.

كُفر وشرك وضلال، وتوجيهه إلى دعوة الحقّ، قوّة إنجاز الفعل مباشرة تتمثّل في الأمر؛ من خلال فعل الأمر (اِذهب) الموجّه هنا إلى موسى عليه السّلام، ويتّضح جليّا من خلال مقصد المتكلّم هنا أنّ الغرض الإنجازي لهذا الفعل هو النّصح والإرشاد والتّوجيه عن طريق " إبلاغ ما أمر الله بإبلاغه بُغية تغيير ما هو عليه من عبادة غير الله".[1] وهذا الأمر محتوى الرّسالة الّتي كُلّف بها كليم الله؛ أي التّوجّه إلى فرعون ونُصحه وبني إسرائيل بعبادة الله وحده، والكفّ عن التّجبُّر والطّغيان في الأرض.

تلقّى موسى عليه السّلام أمر ربّه بصدر رحب، حيث أنّه لم يُعارض ما أُملي عليه، بل توجّه بالسّؤال والطّلب من الله تعالى الإعانة والتّيسير على تبليغ ما كُلّف به، ويبرز هذا جليّا في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32)﴾ طه-(25-32). بالاِعتماد على السّياق يُفهم بأنّ الأمر في هذه الأفعال (اِشرح/ يسّر/ احلُل/ اِجعل/ اشدُد/ أشْرِكْه) ليس أمرًا حقيقيا، لأنّه جاء من الأدنى درجة إلى الأعلى؛ فلا يصحّ أن يأمُر موسى عليه السّلام ربّه، ولذلك جاء الأمر هنا بصيغة الدّعاء والطّلب، فكان محتوى الأفعال هو دعاء الله عزّ وجلّ المعونة على تبليغ الرّسالة إلى فرعون، قوّة إنجازها مباشرة تتمثّل في الأمر الصّريح الّذي مُؤشّره فعل الأمر الصّريح (الأفعال المذكورة سابقا)، حيث دعى موسى ربّه " بإزالة ما في نفسه من مُكدّرات تمنعه من الإقدام عن العمل".[2] وأن يرزُقه بالمقابل تيسير الأمور وتسهيلها، ولضمان إيصال الرّسالة على أكمل صورة دعى الله أيضا بإزالة العُقدة من لسانه، الّتي قيل فيها أنّها " عُجمة بجمرة نار أدخلها في فيه، عن أمر اِمرأة فرعون تدرأ به عنه عقوبة فرعون حين أخذ موسى بلحيته، وهو لايعقل، فقال: هذا

[1]- يُنظر: محمد الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج16، ص210.

[2]- يُنظر: المرجع نفسه، ص ن.

عدوّ لي، فقالت له اِمرأته: إنّه لا يعقل".[1] والغاية من دعائه هذا هي " بيان كلامه، وتصديق قوله".[2] كما سأل ربّه أيضا أن يجعل أخاه هارون وزيرًا له في أمره هذا، " إلّا أنّه لم يُرد أن يكون مقصورًا على الوزارة حتّى يكون شريكا في النّبوّة، ولولا ذلك لجاز أن يستوزه من غير مسألة".[3] فكان المقصد من طلبه هذا سُؤال الله القوّة والمعونة بإشراك هارون عليه السّلام في الدّعوة؛ فالمعنى " اشدُد به قُوّتي وظهري، واِجعله شريكا في تبليغ الرّسالة لفرعون".[4] يكمن الغرض الإنجازي لهذه الأفعال في طلب التّيسير والمعونة والقوّة من الله على تبليغ الدّعوة. وقد علّل موسى عليه السّلام طلبه هذا بإفراد الله تعالى بالذّكر والتّسبيح الكثير، حيث قال تعالى: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34)﴾ طه-(33-34). الفعل الكلامي (نسبّحك/ نذكرك) مباشر يحمل محتوى قضويا يتمثّل في إخلاص العبادة لله والاِجتهاد في ذلك، قوّة الإنجاز غير مباشرة مضمّنها التّأكيد على الذّكر الكثير لله وحده كتعليل لطلب إشراك هارون عليه السّلام في الدّعوة الّذي كان بغرض التّقوية، وبالتّالي " أفصح موسى عليه السّلام عن أنّ المراد بالمعاضدة إنّما هو لتمهيد الطّريق إليه سبحانه وتعالى".[5]

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (35)﴾ طه-(35). فعل كلامي مباشر (كنت)، محتواه القضوي اِقتضاء بتقرير سعة علم المولى عز وجلّ، فمقتضى السّياق معناه " إنّك كنت وما زلت عالما بأحوالنا، ونريد رضاك".[6] قوّة الإنجاز تتمثّل في التّأكيد من خلال الحرف (إنّ)، والغرض الإنجازي تفويض بسعة علم الله عزّ وجلّ؛ فهو المحيط بكلّ شيء في جميع الظّروف والأحوال. ومن فضل الله أيضا على موسى عليه السّلام أن أنعم

---

[1]- جلال الدّين السّيوطي، الدّر المنثور في التّفسير بالمأثور، ج10، تح: عبد الله بن عبد المحسن التّركي بالتّعاون مع عبد السّند حسن يمامة، مركز هجر للبحوث والدّراسات العربيّة الإسلامية، القاهرة-مصر، ط1، 2003، ص184.

[2]- يُنظر: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، النّكت والعيون: تفسير الماوردي، ج3، ص401.

[3]- المرجع نفسه، ص ن.

[4]- يُنظر: برهان الدّين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسّور، ج12، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة-مصر، دط، دت، ص284.

[5]- يُنظر: المرجع نفسه، ص285.

[6]- وهبة الزحيلي، التّفسير الوجيز على هامش القرآن العظيم: ومعه أسباب النّزول وقواعد التّرتيل، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط2، 1996، ص314.

عليه بإجابة دُعائه، حيث قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (36)﴾ طه-(36). الفعل الكلاميّ هنا مباشر (قال/ أوتيت)، وفيه اِقتضاء بإجابة المولى عزّ وجلّ طلب موسى عليه السّلام، قوّته الإنجازية غير مباشرة مضمّنها التّأكيد والوعد بالإجابة، حيث يُفهم من السّياق بأنّ المولى عزّ وجلّ قد بيّن لموسى عليه السّلام إجابة طلبه؛ يؤكّد ذلك حرف التّحقيق (قد) الّذي جاء هنا بمعنى التّأكيد. وقد كان موسى عليه السّلام محلّ عناية من ربّه من قبل بعثته، يُؤكّد ذلك جليّا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (37) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (40) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (41)﴾ طه-(37-41). الملاحظ أنّ الأفعال الكلامية الواردة هنا مباشرة (منّا/ أوحينا/ اِقذفيه/ فليُلقه/ يأخذه/ ألقيت/ لتُصنع/ تمشي/ أدلّكم/ تقرّ/ نجّيناك/ فتنّاك/ فلبثت/ جئت/ اِصطنعتك) وهي متنوّعة بحسب تنوّع السّياق، مقتضاها العامّ بيان المنن والنّعم العظيمة الّتي منّ الله بها على موسى عليه السّلام " ليعلم أنّه كان محلّ عناية من ربّه من أوّل أوقات وُجوده، وهذه العناية تمهيد لما أراد الله به من الإصطفاء والرّسالة، وفي هذا طمأنة لفُؤاده وشرح لصدره ليعلم أنّه سيكون مُؤيّدًا في سائر أحواله المستقبلة".[1] حيث اِبتدأ الخطاب القرآني بذكر منّة حماية موسى عليه السّلام من الغرق، " واذكر حين ألهمنا أمّك وأوقعنا في قلبها عزيمة صادقة أنّ أمثل الطّرق لخلاصك من فرعون وجبروته، أن تضعك في تابوت (صندوق) ثمّ تطرح هذا التّابوت في نهر النّيل، ففعلت فألقاك النّهر في السّاحل، فأخذك فرعون عدوّ الله وربّاك في بيته، وسيصير عدوًّا لك بعد ذلك كما هو عدوّ لي".[2] ثمّ بيان محبّة الخالق لموسى عليه السّلام، فالمعنى " أي ألقيت عليك محبّة خالصة منّي

[1]- يُنظر: محمد الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج16، ص215.

[2]- أحمد مصطفى المراغى، تفسير المراغى، ج16، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1946، ص110.

قد ركّزتُها في القُلوب وزرعتُها فيها، ومن ثمّ أحبَّك فرعون وزوجه، ولتربى برعايتي، فأنا مُراقبك وحافظك".[1] فمن محبّة الله له يُحبّه الخلق. تلاها التّذكير بمنّة حماية أمّه من الحزن وإرجاعه إلى حضنها سالما " فأخته المذكورة مُرسلة من أُمّها لتتعرّف خبره بعد ذهابه في البحر، وأنّها أبصرته من بعد وهم لا يشعرون بذلك، وأنّ الله حرّم عليه المراضع غير أمّه تحريمًا قدريا كونيا".[2] فرجع إلى أمّه برحمة من الله عليهما، وبذلك اِنتفى الحزن عن أمّه لأنّ وعد الله حقّ. كما نجّاه المولى عزّ وجلّ أيضا من فتنة الغمّ، بسبب قتله نفس القبطيّ، والغمّ هنا هو " الحزن الّذي يغمر النّفس ويُصيبها، وهنا نجد أن اللّه قد ذكر النّفس ولم يذكر من أيّ قبيل هو، وفي ذلك إشارة إلى سبب الغمّ، وهو قتل النفس، وحسب ذلك موجبا للغمّ الّذي يُصيب صاحبه بكرب شديد في النّفس كنفس موسى الطّاهرة الّتي صُنعت على عين الله".[3] وبهذا حظي موسى عليه السّلام بعناية خاصّة من الله عزّ وجلّ؛ وفي هذا تصريح بمنّة اِختياره وجعله في موضع التّكريم والتّشريف، تتنوّع القوى الإنجازية لهذه الأفعال، حيث نجد الأمر (اِقذفيه)؛ صيغة فعل أمر صريح، والاِستفهام من خلال المؤشّر (هل)، والنّفي الّذي مُؤشّره (لا النّافية)، أمّا الغرض الإنجازي فيكمن في تذكير موسى عليه السّلام بمنن الله العظيمة عليه، وتنبيهه إلى عناية الله به منذ وجوده.

بعد التّذكير بالنّعم الجليلة الّتي كُرّم بها موسى عليه السّلام، جاء قصد الاِصطفاء والتّكريم، وهو الأمر بالذّهاب إلى فرعون وإبلاغه الرّسالة، حيث قال تعالى: (اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44)) طه-(42-44). فأفعال الكلام (اِذهب/ لا تنيا/ اِذهبا/ طغى/ فقولا/ يتذكّر/ يخشى) أفعال مباشرة، محتواها القضوي من السّياق توجيه الدّعوة إلى فرعون؛ دعوته للإيمان والصدّ عن الكفر والطّغيان، تتنوّع القوى الإنجازية لهذه الأفعال، منها الأمر من خلال

[1]- يُنظر: أحمد مصطفى المراغى، تفسير المراغى، ج16، ص 110.

[2]- حكمت بشير بن ياسين، التّفسير الصّحيح: موسوعة الصّحيح المسبور من التّفسير بالمأثور، مج3، دار المآثر، المدينة النّبوية، ط1، 1999، ص357.

[3]- يُنظر: محمد أحمد مصطفى أبو زهرة، زهرة التّفاسير، دار الفكر العربي، دط، دت، ص4726.

أفعال الأمر (اِذهب/ اِذهبا/ فقولا)، والنّهي الّذي مُؤشّره (لا)، أمّا الغرض الإنجازي لهذه الأفعال فيتمثّل في ترغيب فرعون في طاعة الله وعدم الكفر به. هذا وقد أبدى كلّ من موسى وهارون عليهما السّلام تخوّفهما من طغيان فرعون وتجبّره، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45)﴾ طه-(45). أفعال الكلام (قالا/ نخاف/ يفرط/ يطغى) مباشرة، تحمل محتوى قضويا مضمّنه الاِعتراف بالخوف من طُغيان فرعون، قوّتها الإنجازية غير مباشرة تُفهم من السّياق، والّتي تكمُن هنا في إبراز ضعفهما وأنّهما دون معونة الله لا يقدران على شيء، ويكمن غرضها الإنجازي في الاِعتراف بالضّعف والخوف من فرعون؛ الخوف من رسوخ عقيدة الكفر في نفسه، ومن تجبّره وطغيانه على النّاس، لأنّ من لا يخاف الله لا يُرجى منه صلاح. ليُؤكّد المولى عزّ وجلّ بعد ذلك على أنّه معهما في كلّ شيء، وأنّه لا داعي لخوفهما هذا، حيث نهاهما عن الخوف منه، في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46)﴾ طه-(46). فأفعال الكلام وردت هنا مباشرة (لا تخافا/ أسمع/ أرى)، من خلال السّياق العامّ الّذي مُؤدّاه طمأنة المولى عزّ وجلّ لرسوليه بأنّه " حافظهما وناصرهما، وهكذا ينصر جميع أنصار دعوته وحُماة هذا الدّين".[1] يُفهم بأنّ محتوى هذه الأفعال اِقتضاء بحماية الله لهما، فهو الحافظ لهما في جميع الأحوال، قوّة الإنجاز تتمثّل في النّهي (لا تخافا) من خلال المؤشّر (لا)، وغرض الإنجاز يكمن في إثبات المعيّة؛ أي مرافقة الله لهما دوما وعلمه بكلّ شيء. وفي قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47)﴾طه-(47). أفعال كلامية مباشرة (فأتياه/ فقولا/ فأرسل/ لا تُعذّبهم/ جئناك/ اِتّبع)، من سياق الآية الكريمة يُفهم بأنّ محتواها القضوي الذّهاب إلى فرعون وأمره بكفّ ظلمه وطُغيانه عن بني إسرائيل ودعوته إلى الإيمان بالله، أمّا القوة الإنجازية فتتمثّل في الأمر (فأتياه/ فقولا/ فأرسل) الّذي جاء بصيغة فعل الأمر الصّريح، " بتسريح بني إسرائيل، لأنّهم كانوا تحت يد فرعون وقومه، فكانت رسالة موسى إلى فرعون دعوته للإيمان وتسريح بني إسرائيل، لأنّه كان يُعذّبهم بذبح أبنائهم

[1] – يُنظر: غسّان حمدون، تفسير من نسمات القرآن: كلمات وبيان، مرا وتق: جميل غازي وآخرون، دار السّلام، سوريا، ط2، 1986، ص328.

وإستحياء نسائهم، وتسخيرهم لخدمته، وإذلالهم، وأيّده في ذلك بآية وهي قلب العصا حيّة، وإخراج اليد البيضاء".[1] والنّهي الّذي مُؤشّره (لا)، ويبرز شعار اللّين في الدّعوة إلى هذا الدّين الحقّ في هاتين الآيتين؛ فبالرغم من أنّ فرعون كان طاغيا إلّا أنّ الله تعالى أراد أن يدعى للإيمان بلين ورفق لأنّه عزّ وجلّ وسعت رحمته كلّ شيء ولا يُريد إلّا السّلامة لمن خلق، الغرض الإنجازي هنا يتمثّل في نُصح وتوجيه فرعون إلى الإيمان بدعوة الحقّ.

وفي هذه الآية الكريمة: (إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (48)) طه-(48). تلميح إلى أنّ " جزاء من كذّب أنبياء الله وأعرض عن الإيمان بالله وحده هو الهلاك والدّمار في الدّنيا، والخلود في جهنّم في الآخرة".[2] فمن خلال السّياق نجد أنّ الأفعال الكلاميّة (أوحي/ كذّب/ تولّى) مباشرة، محتواها القضوي التّحذير من العذاب لكلّ من اِستمرّ في كُفره وطُغيانه، قوّتها الإنجازية غير مباشرة تتمثّل في بيان سوء الجزاء والعقاب للكافرين، وغرضها الإنجازي إنذار وتهديد وتحذير فرعون من عذاب الله إن اِستمرّ في كُفره وظلمه.

توجّه فرعون إلى موسى عليه السّلام بسُؤاله عن ربّه وأحوال القرون الماضية في مُحاولة منه لمحاججة موسى عليه السّلام، وإلهائه عمّا جاء من أجله، ويبرز ذلك جليّا في قوله تعالى: (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (51) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52)) طه-(49-52). من خلال السّياق يُلاحظ أنّ فرعون " أعرض عن الإعتراف بالمربوبية، لئلّا يقع ذلك في سمع أتباعه، وقد وجّه السّؤال إليهما معا، ثمّ خصّ موسى بالإقبال عليه بالنّداء لعلمه بأنّ موسى هو الأصل بالرّسالة، وأنّ هارون تابع له".[3]فكان جواب موسى عليه السّلام بيان على قُدرة الله على الخلق والتّكوين، " فالمعنى أنّ الله أعطى خلقه كُلّ شيء يحتاجون إليه، ثمّ هداهُم إلى التّوصّل لما أعطاهم وعلّمهم

[1]- يُنظر: أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزيّ الكلبيّ، التّسهيل لعلوم التّنزيل، ج2، ص19.

[2]- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: والمبيّن لما تضمّنه من السّنّة وآي الفرقان، ج14، تحق: عبد الله بن عبد المحسن التّركي بمشاركة محمد رضوان عرقسوسي وماهر حبّوش، مؤسّسة الرّسالة، بيروت- لبنان، ط1، 2006، ص70.

[3]- محمد الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج16، ص231.

كيف ينتفعون به".[1] وفي جواب موسى هذا " إثبات الرّبوبية لله لجميع الموجودات جزْيًا على قاعدة الإستدلال بالكليّة على الجزئية، بحيث ينتظم من مجموعهما قياس، فإنّ فرعون من جملة الأشياء، فهو داخل في عموم كلّ شيء".[2] وفي هذا دعوة للتّأمّل والتّفكّر في خلق الله الّتي تُثبت قدرته العظيمة. كما حاول فرعون تشكيك موسى فيما جاء به والتّشغيب عليه بسؤاله عن أحوال القرون الماضية الّتي اِندثرت منذ أمد بعيد، " فردّ موسى عليه السّلام علم ذلك إلى الله تعالى وحده في اللّوح المحفوظ، لا يضلّ عنه شيء صغير أو كبير ولا ينسى شيئا".[3] وفي هذا تقرير بسعة علمه عزّ وجلّ، ومنه فالأفعال الكلامية الواردة هنا (قال/ أعطى/ هدى/ لا يضلّ/ لا ينسى) مباشرة، مقتضاها بيان قدرة الله تعالى على الخلق والهداية والتّكوين، وسعة علمه جلّ في علاه، قوّة الإنجاز مباشرة تتمثّل في الإستفهام الّذي مُؤشّره (فمن/ فما)، والنّفي؛ الّذي مؤشّره (لا)، ويكمن الغرض الإنجازي لهذه الأفعال في التّعجيز والتّشغيب على موسى عليه السّلام.

تغيّر مقصد الخطاب القرآني بتغيُّر سياق الآيات، ففي قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (53) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (54) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55)﴾ طه-(53-55). دعوة إلى تجديد نشاط الأذهان بالتّفكّر والتّأمّل في نعم الله في هذا الكون، أفعال الكلام الواردة هنا مباشرة (جعل/ سلك/ أنزل/ فأخرجنا/ كلوا/ اِرعوا/ خلقناكم/ نعيدكم/ نخرجكم)، محتواها القضوي التّذكير بقدرة الله وعظيم آياته في الكون كالخلق، والبعث، وبيان فضله على النّاس، قوّة إنجاز هذه الأفعال مباشرة وهي الأمر الصّريح (كلوا/ اِرعوا)، وغرضها الإنجازي يتمثّل في التّذكير بنعم الله والتّفكّر في خلقه، ولا يفعل هذا إلّا أولي

[1]- ينظر: أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبيّ، التّسهيل لعلوم التّنزيل، ج2، ص19.

[2]- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج16، ص232.

[3]- يُنظر: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، تحق: عبد السّلام عبد الشّافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2001، ص47.

النّهى؛ " أولي العقل والحكم والورع لأنّهم ينهون النّفس عن القبيح خوفا من الله وإستجابة لأوامره عزّ وجلّ".[1] والتّرهيب بالتّذكير بالخلق الأوّل والقدرة على إعادة البعث والإخراج، " إذ أخرجناكم منها في النّشأة الأولى بخلق أبيكم آدم عليه السّلام، وفيها نُعيدكم لا في غيرها، كما أنتم كذلك تُشاهدون بالموت أجساما وأرواحا فتصيرون تُرابًا كما كنتم، ومنها نُخرجكم يوم البعث كما بدأناكم أوّل مرّة".[2]

يتبع ذلك الرّجوع إلى قصّة موسى عليه السّلام مع فرعون الّذي تصلّب في عناده، وإستمرّ في كُفره، وذلك في قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (56)) طه-(56). أفعال الكلام (أريناه/ كذّب/ أبى) مباشرة، محتواها القضوي بيان كُفر فرعون وعدم إيمانه برغم ما قُدّم له من آيات تدلّ على وحدانية الخالق، غرضها الإنجازي التّعجّب من تصلّب فرعون في عناده، فبالرّغم من أنّ موسى عليه السّلام " أراه الآيات الّتي بُعث بها وعدّدها عليه، فلا يُدّعى أنّه أراد بالآيات آيات مخصوصة، ف (كلّ) هنا تأكيد على إرادة العموم، وهذا يتمشّى أنّ الرّؤية قلبية، ويُراد بالآيات ما يدلّ على وحدانية الله وصدق المبلِّغ".[3]وقد إستمرّ فرعون في التّشغيب على موسى عليه السّلام بتحقير الآيات الّتي جاء بها والكفر بها، وهي قلب العصا حيّة واليد البيضاء، حيث قال تعالى: (قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (57) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (58)) طه-(57-58). أفعال الكلام هنا (أجئتنا/ لتخرجنا/ فلأتينّك/ فاجعل/ لا نخلفه) مباشرة، محتواها اِقتضاء بتحقير موسى ووعيده بالإتيان بمثل سحره والتّغلّب عليه، قوى الإنجاز تتمثّل في الاِستفهام الإنكاري؛ ومؤشّره الهمزة الاِستفهامية، والأمر الصّريح (فاجعل)، ويتمثل الغرض الإنجازي في تهديد ووعيد موسى وتحدّيه، والاِستهانة بما جاء به؛ كلّ هذا بغرض إزالة ما في نفوس النّاس من تصديق لموسى

[1]- يُنظر: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، النّكت والعيون: تفسير الماوردي، ج3، ص407،408.

[2]- يُنظر: برهان الدّين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، ج12، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة-مصر، دط، دت، ص299،300.

[3]- يُنظر: أحمد بن يوسف المعروف بالسّمين الحلبي، الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، ج8، تع: أحمد محمد الخرّاط، دار القلم، دمشق-سوريا، دط، دت، ص53،54.

ومحاولة القضاء عليه. وقد قبل موسى عليه السّلام موعدهم الّذي طالبوا به وحدّده في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (59)﴾ طه-(59). يتضمّن سياق الآية الكريمة تحديد زمان ومكان المواجهة بين موسى والسّحرة، " فيقتضي أنّ محشر النّاس في يوم الزّينة كان مكانا معروفا، ولعلّه كان بساحة فرعون، فقوله (يوم الزينة) تعيين للوقت، وقوله (أن يحشر النّاس) تعيين للمكان، وقوله (ضحى) تقييد لمطلق الوقت، و(الضّحى) وقت اِبتداء حرارة الشّمس بعد طلوعها، ويوم الزّينة كان يوم عيد عظيم عند القبط، واِختار موسى هذا الوقت وهذا المكان لأنّه يعلم أن سيكون الفلج له، فأحبّ أن يكون ذلك في وقت أكثر مشاهدا وأوضح رؤية".[1] فالفعل الكلامي هنا (قال/يحشر) مباشر، محتواه القضوي تحديد تاريخ المواجهة بين موسى والسحرة، القوة الإنجازية غير مباشرة تتمثل في بيان موعد المقابلة، والغرض الإنجازي من تحديد ذلك الوقت والتاريخ هو وضوح الرؤية.

اتجه فرعون نحو الِاستعداد لهذا الموعد الكبير، وذلك بجمع السحرة، حيث يقول تعالى: ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (60)﴾ طه-(60). من السّياق يُفهم بأنّ فرعون أعدّ المكائد والحيل للتّغلّب على موسى عليه السّلام؛ أو بالأحرى للقضاء عليه؛ " أي بعد هذا الِاتّفاق على اللّقاء ومكانه اِنصرف فرعون وأخذ يجمع أهل الرّأي ويتعرّف الرّأي الجامع منهم، وهذا التّدبير الّذي كان يُدبّره سمّاه الله تعالى كيده، لأنّه كان يُدبّر لغلبة موسى والقضاء عليه".[2] أفعال الكلام (تولّى/ جمع/ أتى) مباشرة، وفيها اِقتضاء بمحاولة القضاء على موسى عليه السّلام؛ والأهمّ من ذلك جعله محلّ سخرية بين الملأ من بني إسرائيل، قوّة إنجاز الأفعال غير مباشرة تُلخّص سعي فرعون إلى الإطاحة بموسى عليه السّلام وتحقير ما جاء به، والغرض الإنجازي القضاء على موسى ورسالته. وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (61)﴾

[1]- ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص246،247.

[2]- ينظر: محمد أحمد مصطفى أبو زهرة، زهرة التّفاسير، ص4744.

طه-(61). وعظ موسى للسّحرة في محاولة منه لإيقاظ ضمائرهم " ببيان قدرة الله تعالى وقوّته؛ ليُزيل برهبة الله تعالى رهبة فرعون الّذي لا يملك من الأمر شيئا، ونهاهم عن الإفتراء والكذب في مقام الحقّ (بنصرة فرعون على الباطل)، وأكّد وُقوع العذاب والهلاك عليهم إذا ما اِستمرّوا في اِفترائهم هذا".[1] وقد جاءت الأفعال الكلامية في إطار هذا السّياق مباشرة (لا تفتروا/ فيسحتكم/ خاب/ اِفترى)، محتواها التّحذير والتّنبيه ببيان سوء العاقبة لكلّ من يفتري على الله الكذب، قوّتها الإنجازية مباشرة تتجلّى في النّهي؛ الّذي مؤشّره (لا)، وغرضها الإنجازي التّحذير والإنذار والوعظ. هذا وقد أثّر وعظ موسى عليه السّلام عليهم، حيث ترك فيهم شيئا من الإختلاف والتّنازع فيما بينهم، يبرز ذلك جليّا في قوله تعالى: ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى (62)﴾ طه-(62). ففعلي الكلام (تنازعوا/ أسرّوا) مباشرين، بالنّظر إلى السّياق محتواهما القضوي يتمثّل في تنازع السّحرة فيما بينهم، وكتمان أمرهم، والعمل على تجهيز عدّتهم لمواجهة موسى عليه السّلام، قوّة الإنجاز هنا غير مباشرة تتضمّن بيان تنازع واختلاف السّحرة في الحكم بما جاء به موسى وهارون عليهما السّلام، وغرض الإنجاز يتلخّص في المبالغة في الكتمان؛ ذلك أنّ السّحرة لم يُفصحوا عمّا ترك وعظ موسى فيهم من أثر، حيث " بالغوا في كتمان ما يقولون عن موسى وأخيه، وأعدّوا للأمر عدّته، وهيّؤوا وسائل الدّفاع والفوز عن موسى وهارون عليهما السّلام".[2]

وفي قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (63) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (64)﴾ طه-(63-64). مواصلة السّحرة اِستعداداتهم لمواجهة موسى عليه السّلام، حيث أنّ الأفعال الكلامية الواردة هنا (قالوا/ يريدان/ يخرجاكم/ يذهبا/ فأجمعوا/ اِئتوا/ أفلح/ اِستعلى) مباشرة، سياقها إثارة غيرة السّحرة بنيّة القضاء على موسى وهارون عليهما السّلام؛ بحجّة أنّهما يُريدان إخراجهم من أرضهم " والاِستيلاء عليها، ويذهبا بمذهبهم الّذي هو أفضل المذاهب بإظهار

[1]- يُنظر: محمد أحمد مصطفى أبو زهرة، زهرة التّفاسير، ص 4744.

[2]- أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ص124.

مذهبهما وإعلاء دينهما".[1] وفيه أيضا إنذار لموسى عليه السّلام وأخوه وتهويله بقولهم " أزمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم وأتوا مصطفين منظمين، لأنّه أهيب في صدور الرائين، قيل كانوا سبعين ألفا مع كل واحد منهم حبل و عصا وقد أقبلوا على موسى عليه السلام إقبالة واحدة. والفلاح اليوم عندهم لمن فاز وغلب".[2] محتوى هذه الأفعال عدّ موسى وهارون ساحران، هدفهما إخراج بني إسرائيل من أرضهم وخلفهم في مذهبهم، وإنذارهما من يوم المواجهة، القوة الإنجازية في هذه الأفعال مباشرة تتمثل في الأمر، ومؤشره (أجمعوا/ ائتوا)، غرضه الإنجازي هنا تقرير وتحقيق بعدم صدق نبوة موسى وهارون عليهما السلام، وتوجيه الإنذار والتهديد لهما. وفي الآيتين الكريمتين:(قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (65) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (66)) طه-(65-66). وصول موعد المواجهة حيث خيّر السحرة موسى في الإلقاء، ذلك أنّهم أرادوا التسريع في إلقاء حبالهم وعصيهم " لأنّهم أعدّوها للإلقاء، وكانوا يخشون أن يمرّ زمانها فتزول خاصّياتها".[3] وهذا دليل على مكرهم وكيدهم، فخُيّل إلى موسى أنّها تسعى، " وهذا التخيّل الذي وجده موسى من سحر السحرة هو أثر عقاقير يُشربونها تلك الحبال والعصي وتكون الحبال من صنف خاص والعصي من أعواد خاصّة فيها فاعلية لتلك العقاقير، فإذا لاقت شعاع الشمس اِضطربت تلك العقاقير فتحركت الحبال والعصي، قيل: وضعوا فيها طلاء الزئبق. وليس التخيّيل لموسى من تأثير السحر في نفسه لأنّ نفس الرسول لا تتأثر بالأوهام، ويجوز أنّ تتأثر بالمؤثرات التي يتأثر منها الجسد كالمرض".[4] أفعال الكلام هنا مباشرة(قالوا/ تلقي/ نكون/ ألقى/ ألقوا/ يخيّل/ تسعى)، محتواها القضوي اِقتضاء بإختيارية الإلقاء والإسراع فيه لبيان السحر الذي أعده السحرة للقضاء على موسى، قوة الإنجاز مباشرة تتمثل في الأمر (ألقوا)، غرضها الإنجازي

[1]- يُنظر: ناصر الدّين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشّافعي البيضاوي، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: المعروف بتفسير البيضاوي، ج4، إعداد وتق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط1، دت، ص31.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص32.

[3]- ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص258.

[4]- المرجع نفسه، ص ن.

بيان أثر السحر المعد للإطاحة بموسى. وقد كان للسحر الملقى أثرا على موسى عليه السلام، في قوله تعالى: (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (67))طه-(67). فالفعل الكلامي (أوجس) مباشر، محتواه القضوي ظهور أثر التفكّر على موسى عليه السلام نتيجة ما شاهده من السحرة، قوة إنجاز الفعل هنا غير مباشرة تتمثّل في إضمار موسى عليه السلام خشية التفكّر في نفسه، وغرضه الإنجازي بيان أثر التفكّر في نفس موسى عليه السلام، حيث أضمر ما يعتري نفسه ولم يظهره على ملامحه. وعلى إثر هذا جاءت طمأنة الخالق لموسى عليه السلام بأنّه هو الأعلى، في قوله تعالى: (قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (68) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69))طه-(68-69)، سياق الأفعال الواردة هنا (قلنا/ لا تخف/ ألق/ تلقّف/ صنعوا/ يفلح/ أتى) تثبيت فؤاد موسى عليه السّلام، وتذكيره بأنّ الله معه، وهو ناصره على حدّ وعده له، حيث روي في قصص هذه الآية " أنّ فرعون جلس في علّيّة له طولها ثمانون ذراعا، والنّاس تحته في بسيط، فجاء السّحرة وعددهم سبعون ألفا، فألقوا من حبالهم وعصيّهم ما فيه وقْر ثلاث مائة بعير، فهال الأمر، ثمّ ألقى موسى عليه السّلام عصاه من يده، فإستحالت ثعبانا وجعلت تنمو حتّى عبرت النّهر، وقيل؛ البحر، وفرعون في هذا كلّه يضحك، ثمّ أقبلت تأكل الحبال والعصيّ حتّى أفنتها؛ ثمّ فغرت فاها نحو فرعون ففزع عند ذلك وإستغاث بموسى، فمدّ موسى يده إليها فرجعت عصا كما كانت".[1] وقد أمر المولى عزّ وجل موسى بإلقاء العصا، حيث قال: " ألق ما في يمينك، ولم يقُل ألق عصاك، لأنّه جائز أن يكون تصغيرًا لها، ولا تُبال بحبالهم وعصيّهم؛ فإنّما ما في يمينك تتلقّف جميع ما صنعوا بقدرة الله وتتناوله بسرعة".[2] قوّة إنجاز هذه الأفعال مباشرة تتمثّل في النّهي؛ ومُؤشّره (لا)، والأمر (ألق)، أمّا الغرض الإنجازي فيكمن في تثبيت موسى عليه السّلام وبيان عاقبة السّحرة.

[1]- يُنظر: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثّعالبي المالكي، تفسير الثّعالبي: المسمّى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج4، تحق وإخراج: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود بمشاركة عبد الفتّاح أبو سنّة، دار إحياء التّراث العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1997، ص60.

[2]- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: والمبيّن لما تضمّنه من السّنّة وآي الفرقان، ج14، ص102.

اِنبهر السّحرة ممّا رأوه من موسى عليه السّلام، وأعلنوا إيمانهم بالله وحده لا شريك له، وهو ما لم يُعجب الطّاغية فرعون الّذي توجّه إليهم بالتّهديد والوعيد، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (70) قَالَ آَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (71)﴾ طه-(70-71). يتضمّن سياق الآيات الكريمة إعلان السّحرة إيمانهم بربّ العزّة وسُجودهم له، وتأكيدهم على اِتّباع دعوة موسى وهارون عليهما السّلام؛ وبالتّالي خروجهم عن زمرة الكفر (فرعون وأتباعه)، وتهديد فرعون لهم بأبشع وأشدّ عذاب؛ أي " تقطيع الأيدي اليُمنى والأرجل اليُسرى، وتصليبهم في جذوع النّخل، وسينالون أبشع أنواع العذاب".[1] أفعال الكلام الواردة هنا (فألقي/ قالوا/ آمنّا/ قال/ آمنتم/ علّمكم/ فلأقطّعنّ/ لأصلّبنّكم/ لتعلمنّ) مباشرة، محتواها القضوي إعلان السّحرة إيمانهم بالله عزّ وجلّ وردّ فعل فرعون عن ذلك بالتّهديد والوعيد بأشدّ أنواع العذاب، قوّة الإنجاز مستلزمة مقتضاها اِتّباع السّحرة دعوة الحقّ، وغرضها بيان صدق نبوّة موسى عليه السّلام، وتهديد ووعيد فرعون للسّحرة. هذا ولم يُبال السّحرة بما هدّدهم به فرعون؛ لأنّهم أدركوا أنّ ما جاء به موسى هو الحقّ، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72) إِنَّا آَمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (73)﴾ طه-(72-73). حيث قالوا له: " إنّما قضاؤك في هذه الدّنيا وأنّ الحكم والملك لله يوم القيامة".[2] واِعترفوا بخطاياهم وكيف أنّ فرعون أضلّهم وأكرههم على تعلّم السّحر، حيث " رُوي أنّ الّذي كان من القبط من السّحرة اِثنان فقط، والباقون من بني إسرائيل أكرههم فرعون على تعلّم السّحر".[3] أفعال الكلام الواردة هنا مباشرة (قالوا/ جاءنا/ آمنّا/ ليغفر/ أكرهتنا)، تحمل محتوى قضويا يقضي بصمود السّحرة أمام تهديد فرعون لهم، ودعواهم

[1]- برهان الدّين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، ج12، ص314.

[2]- يُنظر: أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزيّ الكلبي، التّسهيل لعلوم التّنزيل، ج2، ص22.

[3]- برهان الدّين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، ج12، ص314.

الثّبات والمغفرة من الله، قوّة الإنجاز مباشرة، حيث نجد الأمر (فاِقض)، والدّعاء من خلال صيغ دعاء فعلية (ليغفر لنا)، أمّا الغرض الإنجازي فيتلخص في اِستخفاف السّحرة بوعيد فرعون، وتعظيمهم بالمقابل المولى عزّ وجلّ ودُعائهم الله أن يغفر لهم عمّا أكرهوا على فعله.

تلى ذلك التّذكير وبيان حسن العاقبة لكلّ من آمن بالله وتمسّك به، وسوء الجزاء لكلّ من قابل ربّه بالكفر والإجرام، من خلال قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا (74) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا (75) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (76)﴾ طه-(74-76). فالسّياق هنا يعني أنّه من لايؤمن بالله " لا ينتفع بحياته ولا يستريح بموته، ويُقال أنّ نفس الكافر معلّقة بحنجرته كما أخبر الله عنه؛ فلا يموت بفراقها، ولا يحيا بِاستقرارها".[1] عكس المؤمن بالله الّذي سينال حسن الخاتمة، بالفلاح في الدّنيا والخلود في الجنّة، أفعال الكلام في هذه الآيات الكريمة مباشرة (يأت/ لا يموت/ لا يحي/ عمل/ تجري/ تزكّى)، محتواها القضوي بيان عاقبة الكافر والمؤمن، قوّتها الإنجازية غير مباشرة تكمن في إثبات أحقّية العذاب على المجرمين، وتأكيد نجاة المؤمنين، غرضها الإنجازي التّذكير والتّنبيه.

أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السّلام بالخروج مع قومه عن طريق البحر؛ لإنجائه ومن آمن معه من ظلم فرعون وطغيانه وتجبّره، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى (77) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (78) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (79)﴾ طه-(77-79). وقد حصل هذا بعد أن " حدثت لموسى بعد غلبته السّحرة حوادث عديدة، حيث أقام موسى على وعده حتّى غدره فرعون ونكث وأعلمه أنّه لا يُرسلهم معه، فبعث الله حينئذ

[1]- يُنظر: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، النّكت والعيون: تفسير الماوردي، ج3، مرا وتع: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، دط، دت، ص415.

الآيات المذكورة في غير هذه الآيات الجراد والقمّل إلى آخرها، فكلّما جاءت آية وعد فرعون أن يُرسل بني إسرائيل عند اِنكشاف القول، فإذا اِنكشف نكث حتّى تأتي أخرى، إلى أن أوحى الله إلى موسى بالخروج ببني إسرائيل في اللّيل هاربا من مصر".[1] وفي هذا تشريف لبني إسرائيل بإنقاذهم من فرعون، وهذا من رحمته عليهم، فحين " ضرب موسى عليه السّلام البحر اِنفلق اِثنتي عشر فرقة، طُرقًا واسعة بينها حيطان ماء واقف، فدخل موسى عليه السّلام بعد أن بعث الله تعالى ريح الصّبا، فجفّفت تلك الطّرق حتّى يبست، فسلكها موسى وبني إسرائيل".[2] وحاول فرعون اللّحاق بهم، حيث " خرج في مركبته ومعه ستّمائة مركبة مُختارة ومركبات أخرى تحمل جيشه، فغشيهم غاش، فتعيّن أنّ المقصود منه التّهويل؛ أي بلغ من هول ذلك الغرق ما لا يُستطاع وصفه".[3] هذا ما حدث لفرعون وأتباعه، فهو " أضلّهم عن الرّشد في الدّين وما هَداهُم إلى خير؛ بإكراههم على تأليهه وعبادته".[4] بالنّظر إلى سياق الآيات يُلاحظ أنّ أفعال الكلام (أوحينا/ اِسر/ فاِضرب/ لا تخاف/ لا تخشى/ فأتبعهم/ فغشيهم/ أضلّ/ ما هدى) مباشرة، محتواها القضوي تنجية موسى ومن معه، ومحاولة فرعون اللّحاق بهم طمعا في النّجاة، قوّتها الإنجازية مباشرة، حيث نجد الأمر (اِسر/ فاِضرب)، والنّفي (لا تخاف/ ما هدى)، وغرضها الإنجازي تقرير وبيان نُصرة الحق على الباطل.

وفي قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى (80) كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى (81) وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (82)﴾ طه-(80-82). تذكير بني إسرائيل

[1]- أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، تحق: عبد السّلام عبد الشّافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2001، ص54.

[2]- يُنظر: المرجع نفسه، ص55.

[3]- يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج16، الدار التونسية للنّشر، تونس، دط، 1984، ص271،272.

[4]- ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير الوجيز على هامش القرآن العظيم: ومعه أسباب النّزول وقواعد التّرتيل، دار الفكر، دمشق-سوريا، ط2، 1996، ص318.

بنعم الله عليهم، وبيان حقّها عليهم من الشّكر، حيث " أنجاهم من عدوّهم الّذي تحكّم فيهم وأسامهم سوء العذاب، وواعدهم جانب الطّور الأيمن، حيث كانت المواعدة مع موسى رسولهم الّذي يأتي بما يوحى إليه إليهم، وبما أنّ موسى هو رسولهم الّذي أرسل إليهم كانت المواعدة معه مواعدة لهم، وهذا تشريف وتكريم لهم، ورفع لهم ممّا كانوا فيه من كبوة".[1] كما أنّه سبحانه وتعالى " أبدلهم بطعام أشهى وأجدى وهو المنّ الّذي أنزله الله في الأشجار، والسّلوى ذلك اللّحم الطّريّ".[2] فكان مقصد الخطاب القرآني أن " كُلوا من اللّذائذ الّتي أنعمنا عليكم بها، ولا تطغوا في رزقي بالإخلال بشكري وتعدّي حدودي فيه بالسّرف والبطر، والإستعانة به على المعاصي ومنع الحقوق الواجبة فيه، فينزل عليكم غضبي وتجب عقوبتي ومن ينزل عليه غضبي فقد شقى وهلك".[3] هذا وقد وعد الله عزّ وجلّ كلّ من " تاب عن الشّرك وآمن بما يجب الإيمان به، ثمّ إستقام على الهدى المذكور".[4] بحسن الجزاء والعاقبة، جاءت الأفعال الكلامية هنا مباشرة (أنجيناكم/ واعدناكم/ نزّلنا/ كلوا/ لا تطغوا/ فيحلّ/ هوى/ تاب/ آمن/ عمل/ إهتدى)، محتواها تنبيه وتذكير بني إسرائيل بنعم الله عليهم وضرورة شُكرها، والتّحذير من البطر والكفر بها، ووعد المهتدين بالمغفرة وحسن الجزاء، قوّتها الإنجازية مباشرة؛ منها الأمر (كلوا)، والنهي من خلال المؤشّر (لا) في تحذير من الطغيان، أمّا غرضها الإنجازي فيكمن فينصحهم وتوجيههم إلى شكر نعم الله وحمده عليها.

إستعجل موسى لقاء ربّه شوقًا إليه وطلبًا لزيادة الرّضا، فنزل الوحي عليه مُعلمًا إيّاه ما حلّ بقومه بعده، في قوله تعالى: (وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (83) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (84) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (85)) طه-(83-85). في سياق هذه الآيات "

[1]- ينظر: محمد أحمد مصطفى أبو زهرة، زهرة التّفاسير، ص4761،4762.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص4762.

[3]- يُنظر: أحمد مصطفى المراغى، تفسير المراغى، ج16، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1946، ص136.

[4]- يُنظر: ناصر الدّين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشّيرازي الشّافعي البيضاوي، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: المعروف بتفسير البيضاوي، ج4، ص35.

سُؤال عن سبب العجلة يتضمّن إنكارها من حيث إنّها نقيصة في نفسها اِنضمّ إليها إغفال القوم وإيهام التّعظّم عليهم".[1] ذلك وقد " اِعتلّ موسى عليه السّلام بأنّه لم يوجد منه إلّا تقدّم يسير، وليس بينه وبين من سبقهم إلّا مسافة قريبة، يتقدّم بمثلها الوفد رأسهم ومقدّمتهم".[2] فتمّ إضلال القوم بفتنة عبادة العجل الّتي كان السّامريّ سببًا فيها، والّذي اِستغلّ غيبة موسى عليه السّلام، و" أخذ في تدبير ذلك وهو أشدّهم ضلالا، وهو منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يُقال لها السّامرة، وبالتّالي تمكّن من إغوائهم والرّجوع بهم إلى ما كانوا عليه من عبادة غير الله".[3] وفي ذات السّياق رُوي أنّهم " كانوا ستّمائة ألف ما نجا من عبادة العجل منهم إلّا اِثني عشر ألفًا، حيث أقاموا بعد مُفارقة موسى لهم عشرين ليلة وحسبوها أربعين مع أيّامها، وقالوا أكملنا العدّة ثمّ كان أمر العجل بعد ذلك".[4] أفعال الكلام في هذه الآيات مباشرة (ما أعجلك/ قال/ عجلت/ قال/ فتنّا)، محتواها القضوي توبيخ موسى عن تعجّله وبيان فتنة السّامري لقومه، قوّتها الإنجازية مباشرة تتمثّل في الاِستفهام الإنكاري؛ الّذي مؤشّره (ما)، وغرضها الإنجازي التّوبيخ؛ توبيخ موسى، وبيان ما آل إليه قومه من بعد إيمانهم.

عاد موسى عليه السّلام إلى قومه غضبانًا على ما عملوه بعبادة غير الله والشّرك به، حيث قال تعالى: (فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (86) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (87) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (88)) طه-(86-88). نوع الأفعال الكلامية الواردة هنا مباشر (رجع/ قال/ يعدكم/ أفطال/ أردتم/

[1]- ناصر الدّين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشّيرازي الشافعي البيضاوي، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: المعروف بتفسير البيضاوي، ج4، ص35.

[2]- ينظر: أحمد بن يوسف المعروف بالسّمين الحلبي، الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، ج8، ص87.

[3]- ينظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، النّصف الثاني من الكشّاف عن حقائق التّنزيل، تصحيح: وليم ناصر ليس الإيرلندي والمواوي خادم حسين والمواوي عبد الحي، دار الإمارة، دط، 1859، ص892.

[4]- يُنظر: المرجع نفسه، ص ن.

يحلّ/ فأخلفتم/ قالوا/ أخلفنا/ حُمّلنا/ فقذفناها/ ألقى/ فأخرج/ فنسي)، يتلخّص محتواها القضوي في بيان غضب موسى على قومه ولومه لهم بإتّخادهم العجل للعبادة، واتّباعهم السامريّ، "فإجتمع في نفس موسى الحزن وإنكسار الخاطر، فبينما هو في مناجاة الله التي كان يأمل أن تكون سبب رضا الله عن قومه، فإذا بهم أتوا بما لا يرضي الله. فأخذ يقرع أسماعهم ومعهم السامريّ وهارون عليه السلام بزواجر وعظه، فإبتدأ بخطاب قومه بلومه لهم على إخلاف الموعد (وعد الله)".[1] بالمقابل إعترف قومه بوقوعهم في الخطأ، وأبدوا طمعهم في توبة الله عليهم، أي " ما فعلنا ذلك بأنّا ملكنا الصّواب، ولا وفّقنا له، بل غلبتنا أنفسنا، ولكنّا حمّلنا أوزارا، حيث سمّوها أوزارا من حيث هي ثقيلة الأجرام، أو من حيث تأثّموا في قذفها، فكما قذفنا نحن من حليّ القبط فكذلك أيضا ألقى السامريّ".[2] الذي أوقع القوم في الخطأ، حيث " أخرج لهم السّامري عجلا جسدا من الذهب لا يتغذى يخور، لا يملك لهم من الأمر شيئا، فقالوا هذا إله بني إسرائيل وإله موسى الّذي ذهب يطلبه في غير موضعه، ويحتمل أن يكون قوله (فنسي) إخبارا من الله عن السامري، أي فنسي السامري دينه، وضلّ طريق الحق".[3] قوة إنجاز هذه الأفعال مباشرة، منها الإستفهام الإنكاري الذي مؤشره (الهمزة الإستفهامية)، والنفي (ما أخلفنا)، الغرض الإنجازي لهذه الأفعال هو اللّوم والتعجّب والتهكّم والغضب، وإقرار وقوع القوم في الخطأ.

بعد إنتهاء موسى من لوم القوم، توجّه نحو أخاه هارون عليه السلام بالتّوبيخ واللّوم، في قوله تعالى:(أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (89) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (90) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (91) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (93)) طه(89-93). من سياق الآيات

[1]- ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص282-283.

[2]- ينظر: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي، تفسير الثعالبي: المعروف بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج4، تحق وإخراج: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود بمشاركة عبد الفتّاح أبو سنّة، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1997، ص64.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص65.

يلاحظ أنّ أفعال الكلام مباشرة (يرون/ يرجع/ يملك/ قال/ فتنتم/ فاتبعوني/ أطيعوا/ قالوا/ نبرح/ يرجع/ رأيتهم/ ضلّو/ أفعصيت)، محتواها القضوي اِتّخاذ بني إسرائيل العجل إلها يعتكفون على عبادته، وعدم أخذهم بنصح هارون عليه السلام وتوجيهه لهم، حين أصرّوا على عبادة العجل إلى حين عودة موسى عليه السلام الذي غضب من أخيه لما رأى القوم على ما هم عليه من ضلال وكفر، فوجّه لومه له، على حد قوله:" ما منعك من أن تدعهم في ضلالهم، ولا تصلح أمرهم، ومن إصلاحه أن ينكر العجل الذي اِتخذوه إلهًا لهم، أم أنّك عصيت ما أمرتك به؛ أي اِستخلافه على بني إسرائيل لحين عودة موسى عليه السلام".[1] قوة إنجازها مباشرة حيث نجد الاِستفهام الإنكاري الذي مؤشره (الهمزة الاِستفهامية) في (أفلا يرون/ أفعصيت)، والاِستفهام (ما منعك)، وغرض إنجازها التعجّب من عبادة بني إسرائيل العجل الذي لا يتكلم ولا يهديهم إلى حق، فهو لا ينفعهم بشيء، إنّما عبادتهم له ضلال وشرك بالله الواحد الحق، والتوبيخ واللّوم الموجّه لهارون عليه السلام. وكان ردّ هارون على موسى بالتخفيف من غضبه، وذلك في قوله تعالى: (قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94)) طه-(94). فكان خطاب هارون لموسى خطاب اِستعطاف مقصده تليين قلب موسى، فلمّا " أخذ موسى بشعر هارون ولحيته من شدّة غضبه لما وجد قومه عليه، قال له هارون لو قاتلت من عبد العجل منهم بمن لم يعبده لقُلت فرّقت جماعتهم وأدخلت العداوة بينهم، ولم تخلفني في قومي بالإصلاح".[2] أفعال الكلام الواردة في هذه الآية مباشرة (قال/ لا تأخذ/ خشيت/ فرّقت/ ترقُب)، سياق محتواها تهدئة هارون أخاه موسى، والتّأكيد له على أنّه أدّى ما عليه في نُصحهم وتوجيههم إلى الحقّ، وأنّهم هم من أعرضوا عن طاعة أمره، قوّة الإنجاز هنا مباشرة، تتمثّل في النّهي (لا تأخذ)، والغرض الإنجازي تهدئة موسى وتليين قلبه.

[1]- ينظر: جلال الدين السيوطي، الدّر المنثور في التفسير بالمأثور، ج10، تحق: عبد الله عبد المحسن التركي بالتعاون مع عبد السند حسن يمامة، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة-مصر، ط1، 2003، ص234.

[2]- يُنظر: أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزيّ الكلبي، التّسهيل لعلوم التّنزيل، ج2، ضبط وتصحيح وإخراج: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1995، ص25.

ولم يتوقّف توبيخ موسى وغضبه عند هارون، بل تعدّاه إلى السّامريّ الّذي كان السّبب في حدوث ما حصل لبني إسرائيل، حيث قال تعالى: (قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (95) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (96) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (97) إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (98) كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (99)) طه-(95-99). حيث سأل موسى السّامريّ عمّا حمله عن فعل هذا، فكان جواب السّامريّ عن ذلك أنّه " لما رأى جبريل (رسول الله إلى الأنبياء) راكبًا فرَسا فوطأ حافر الفرس مكانا فإذا هو مخضرّ بالنّبات، فعلم السّامريّ أنّ أثر جبريل إذا أُلقي في جماد صار حيّا، فأخذ قبضة من ذلك التّراب وصنع عجلا، وألقى القبضة عليه فصار جسدا؛ أي حيّا له خُوار كخوار العجل، وقد عبّر عن ذلك الإلقاء بالنّبذ".[1] فجاء تقرير ببيان سوء العاقبة والجزاء للسّامريّ، ووعيده بالعذاب، حيث قال له موسى فاذهب " وهو أمر بالإنصراف من الأمّة وعدم الإكتراث بحاله، كما أخبره بعقاب الله له دُنيا وآخرة؛ حيث سلبه الأنس الّذي في طبع الإنسان، حيث لا يقترب من أحد ولا يدع أحدا يقترب منه، وعوّضه به هوسا ووسواسا وتوحّشا، وتوعَّده بعذاب الآخرة، كما بيّن له موسى أنّ إلهه معرّض للعجز وأنّه لاشيء، حيث أقسم بحرقه ونسفه وهذا ما فعله".[2] ليأتي فيما بعد التّذكير بصفات الإله الحقّ الّذي تجب له العبادة، المنفرد بوحدانيته، المحيط إحاطة تامّة بكلّ شيء صغُر أو كبُر، فهو الوحيد الّذي لايخفى عليه شيء في السّماوات ولا في الأرض. الأفعال الكلامية الواردة في هذه الآيات المباركة مباشرة (قال/ بصرت/ لم يبصروا/ فقبضت/ فنبذتها/ سوّلت/ فاذهب/ تقول/ لن تُخلفه/ أُنظر/ ظلْت/ لنُحرّقنّه/ لننسفنّه/ وسع/ نقُصّ/ سبق/ آتيناك)، محتواها القضوي بيان كيفية إضلال السّامريّ لبني إسرائيل، وإثبات سوء العاقبة والجزاء له في الدّارين، وبيان صفات الخالق الّذي يستحقّ العبادة، قوّتها الإنجازية مباشرة، منها الإستفهام؛

[1]- يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج16، ص296.

[2]- يُنظر: المرجع نفسه، ص 298،299.

ومؤشّره (ما)، والأمر (فاِذهب/ وانظر)، والقسم (لنحرّقنّه/ لننسفنّه)، أمّا غرضها الإنجازي فيتجلّى في بيان غرض السّامريّ من فتنة القوم؛ وهو أنّ نفسه زيّنت له ذلك، والتهكّم منه ووعيده بسوء العذاب، وتذكير بني إسرائيل بصفات الإله الحقّ.

خُتمت قصّة موسى عليه السّلام بتذكير الرّسول عليه الصّلاة والسّلام بأنّه أوتي قرآنا عظيما لا يُضاهيه شيء في هذه الدّنيا، وهذا من فضل الله عليه وعلى أمّته، وفي التّنويه بهذه القصّة إقرار بأهمّية القَصص القرآني في التّوجيه والتّثبيت، وإيقاظ لبصائر المشركين من العرب إلى موضع الاِعتبار من هذه القصّة؛ أي ضرورة الإيمان بالله وحده لا شريك له، وإخلاص العبادة له.

الموضوع الثّالث: الوعيد لمن أعرضوا عن القرآن ولم ينتفعوا بعبره وقصصه، وبعض مشاهد يوم القيامة (الآيات 100–114).

السّياق العامّ للآيات:

بعد الاِنتهاء من قصّة موسى عليه السّلام جاء التّنويه مرّة أخرى بمنزلة هذا القرآن الّذي هو عظة وعبرة لمن يتذكّر ويتفكّر ويعتبر، فمن اِختار طريق الضّلال والكفر وأعرض عنه فإنّه يتحمّل إثمًا عظيمًا نتيجة إهماله هذا المنهاج القويم، وجزاؤه نار جهنّم خالدًا فيها. فيوم يُنفخ في الصّور يُعرف المجرمون من وُجوههم المسودّة، أمّا علامة أهل الإيمان فالوجوه المنيرة الضّاحكة المستبشرة، جزاؤهم الخلود في جنّات النّعيم. وفي هذه الآيات أيضا مُجادلة المشركين النّبي عليه الصّلاة والسّلام عن الجبال والسّاعة الّتي يُصيّرها (الجبال) الله عزّ وجلّ هباءً منبثّا، ويجعل الأرض مستوية في يوم لا يعلمه إلّا هو؛ فيومئذٍ يهلع النّاس من تلك المشاهد وليس لهم مفرّ من الله إلّا إليه، وتخضع جميع الأصوات له من خشيته، فلا يُسمع إلّا الهمس الخافت، فيومئذٍ لا تنفع الشّفاعة أحدا إلّا المؤمن

الّذي رضي الله عنه. فالله وحده العالم بكلّ أمور الدّنيا والآخرة، والمسيّر لكلّ شيء بعلمه وحكمته، ولا يُحيط أحد به علما إلّا بما شاء ورضي له.

السّياق المقامي التّبليغي للآيات:

يُوجّه المولى عزّ وجلّ في هذه الآيات الكريمة خطابه إلى النّبي عليه الصّلاة والسّلام بِاعتباره مُبلّغ خطاب الوحي المخصّص هنا للمشركين الّذين اِتّخذوا هذا القرآن لهوًا ولعبا، ولم تزدهم قصصه وعبره إلّا صدّا وكُفرا، حيث اتّجهوا بدل الإيمان نحو مُجادلة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام عن الجبال والسّاعة الّتي علمها عند الله وحده، وتتجلّى عناصر السّياق المقامي التّبليغي لهذه الآيات فيما يأتي:

المخاطِب: الله عزّ وجلّ.

المخاطَب: الرّسول عليه الصلاة والسّلام، مشركو قريش الّذين لم يعتبروا بمواعظ هذا الدّين المنكرين السّاعة.

المرجع: مشركو قريش المعرضون عن القرآن.

قناة التّبليغ: الخطاب القرآني.

موضوع الخطاب: تأكيد عظمة القرآن الكريم، وإثبات الجزاء للمؤمنين، وسوء العاقبة للكافرين المعرضين عن الإيمان بالله.

السّنن: مجموع القواعد الصّرفية والنّحوية والتّداولية المتضمّنة في هذا الموضوع الثّالث من سورة طه.

اِفتُتحت هذه الآيات الكريمة بالتّحذير والوعيد للمعرضين عن هذا القرآن العظيم وذلك في قوله تعالى: (مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (100) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (101)) طه-

(100-101). فمن سياق الآيات نلاحظ أنّ أفعال الكلام هنا صريحة مباشرة (أعرض/ يحمل/ ساء)، محتواها القضوي التّذكير بيوم البعث ووعيد المجرمين بسوء الحمل والجزاء، القوّة الإنجازية لهذه الأفعال غير مباشرة تتضمّن بيان خلود المجرمين المعرضين عن القرآن يوم القيامة في جهنّم وساءت مصيرا، وغرض إنجاز الأفعال الوعيد بأبدية العذاب للمعرضين عن القرآن الكريم. وقد تلى هذا التّفصيل في صفات المجرمين وبيان حالهم يوم القيامة، والإقرار بعظمة الله عزّ وجلّ وسعة علمه، والتّأكيد على أنّ كلّ شيء في حكمه ومصيره إليه، وفيه أيضا إثبات حسن العاقبة للمؤمنين، وسوء الجزاء للظّالمين، حيث يقول تعالى: (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (102) يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (103) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (104) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (106) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (107) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (108) يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (109) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (110) وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (111) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (112)) طه-(102-112). الأفعال الكلامية الواردة هنا أفعال مباشرة (ينفخ/ نحشر/ يتخافتون/ لبثتم /يقولون / يقول /يسألونك / فقل / ينسفها / فيذرها / لا ترى / يتّبعون / خشعت / تسمع / لا تنفع / أذن / رضي / يعلم/ ولا يحيطون / عنت / يعمل / فلا يخاف) ، محتواها القضوي اِقتضاء بالتذكير بيوم البعث، ووعيد المجرمين بسوء العاقبة ، " فيوم يَنفخ إسرافيل في الصّور النّفخة الثانية، وهي نفخة البعث والحشر والحساب، نحشر الكافرين والمشركين يوم القيامة زُرق الأبدان والعيون من شدّة الهول، نادمون يتهامسون بينهم قائلين: ما لبثتم في الدّنيا إلّا عشر ليال؛ يستقصرون مدّة مكوثهم فيها لزوالها السّريع، الله أعلم بأقوالهم في مدّة لبثهم، حين يقول أعدلهم رأيا وأصحهم قولا: ما لبثتم إلآ يوما واحدا".[1] ويتولّى الله عزّ وجلّ

[1]- يُنظر: وهبة الزحيلي، التّفسير الوجيز على هامش القرآن العظيم: ومعه أسباب النّزول وقواعد التّرتيل، ص320.

يومئذٍ نسف الجبال، حيث " يُرسل عليها ريحًا فتدكّها حتّى تُصبح كالعهن المنفوش، ثمّ يتوالى عليها حتّى يُعيدها كالهباء المنبثّ، فذلك هو النّسف، فتصبح الأرض كلّها مستوية لا يوجد فيها عوج؛ أي لا اِنخفاض ولا اِرتفاع".[1] ففي ذلك اليوم (يوم الحساب) تخشع الأصوات للرّحمن؛ أي " تخضع بالسّكون له ولا يُسمع منها إلّا الهمس؛ الأصوات الخفية، فلا تنفع الشّفاعة يومئذٍ إلّا لمن أذن له الرّحمن أن يتكلّم".[2]فيومئذٍ الملك لله الواحد القهّار، وعنت الوجوه بمعنى " خضعت للحيّ الّذي لا يموت، الدّائم القائم على كلّ نفس بما كسبت، أو القائم بتدبير الخلق، وقد خسر من حمل ظلما وشركا به".[3] تتنوّع قوى إنجاز هذه الأفعال، منها الأمر (فقُل)، والنّفي؛ ومؤشّره (لا)، وتجمع هذه الآيات بين أغراض هي: التّذكير بيوم الحساب، ووعيد المجرمين بسوء الجزاء، والتّقرير بقدرة الله العظيمة وسعة علمه، وإثبات الملك لله، وتأكيد حسن العاقبة للمؤمنين.

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (113) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114)﴾ طه-(113-114). تذكير ووعيد، ذلك أنّه " أنزلت هذه الآيات المتضمّنة للوعيد عربية كلّها، حيث تكرّرت آيات الوعيد في القرآن لعلّهم يتّقون الله، ويهجرون المعاصي أو يُحدث لهم عظة واِعتبارًا".[4] ويتضمّن سياق الآيات أيضا توجيه وإرشاد ونصح الرّسول عليه الصّلاة والسّلام " بعدم الاِستعجال في تلقّي الوحي من جبريل عليه السّلام ومُساوقته في القراءة حتّى يتمّ وحيه بعد ذكر الإنزال على سبيل الاِستطراد، وأمَره أن يسل الزّيادة في العلم بدل الاِستعجال، فإنّ ما أوحي إليه يناله لا محالة".[5] أفعال الكلام هنا مباشرة (أنزلناه/ صرّفنا/ يتّقون/ يُحدث/ لا

[1]- يُنظر: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، ص64.

[2]- يُنظر: أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي البصري، النّكت والعيون: تفسير الماوردي، ج3، ص426،427.

[3]- ينظر: غسّان حمدون، تفسير من نسمات القرآن: كلمات وبيان، مرا وتق: جميل غازي وآخرون، دار السّلام، سوريا، ط2، 1986، ص334.

[4]- يُنظر: ناصر الدّين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشّيرازي الشّافعي البيضاوي، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: المعروف بتفسير البيضاوي، ج4، ص40.

[5]- المرجع نفسه، ص ن.

تعجل/ يُقضى/ قُل/ زدني)، محتواها القضوي الوعيد بهذا القرآن تذكيرًا وتوجيها للتّمسّك بالقرآن الكريم؛ الّذي لا ولن يضلّ من تمسّك به، وإثبات أنّ الله هو الملِك الحقّ الّذي تعالى بصفاته وكلامه عن مُماثلة المخلوقين، الحقيق بأن يُعبد وحده، ويُخشى وعيده، قوّة الإنجاز مباشرة تتمثّل في النّهي؛ من خلال المؤشّر (لا)، والأمر (قُل)، ويكمن غرض الإنجاز في التّذكير والوعيد، والتّوجيه والإرشاد والنّصح.

الموضوع الرّابع: تذكير الرّسول عليه الصّلاة والسّلام والنّاس بعداوة الشّيطان؛ بما تضمّنته قصّة خلق آدم عليه السّلام (الآيات115–127).

السّياق العام للآيات:

اِحتوت هذه الآيات على قصّة أخرى من القَصص القرآني، وهي قصّة خلق آدم عليه السّلام الّذي خُلق من طين، وأبى إبليس السّجود له، والخضوع لأمر المولى عزّ وجلّ، حيث طغى تجبّره وتكبّره بِاحتقار آدم عليه السّلام، واِستهجان خلقه، والّذي اِستطاع الوسوسة لآدم عليه السّلام وزوجه، وتمكّن من إخراجهما من الجنّة وإنزالهما إلى الأرض، ولولا توبة الله عليهما وغُفرانه لكانا من الغاوين، وفي ذكر هذه القصّة تذكير وتنبيه للرّسول عليه الصّلاة والسّلام بعداوة الشّيطان لهذا الدّين، وأنّه ليس ممّن يُرجى إيمانه لأنّه كُتب عليه الضّلال إلى يوم القيامة، وأنّ جزاؤه جهنّم وساءت مصيرا.

السّياق المقامي التّبليغي للآيات:

الخطاب القرآني في هذه الآيات موجّه إلى الملائكة بالسّجود لآدم عليه السّلام، والمعروف أنّ الملائكة سجدوا لآدم إلّا إبليس اِستكبر وأبى، كما يُوجَّه الخطاب أيضا لآدم عليه السّلام بتحذيره من عداوة إبليس، وأنّه

يسعى لإيقاعه وزوجه في العصيان والكفر والضّلال، ويُؤكّد على أنّ جزاء من آمن الجنّة ومن كفر النّار، ويمكن توضيح السّياق المقامي التّبليغي لهذه الآيات فيما يلي:

المخاطِب: الله عزّ وجلّ.

المخاطَب: الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، الملائكة، آدم عليه السّلام وزوجه.

المرجع: المشركون بالقرآن.

قناة التّبليغ: الخطاب القرآني.

موضوع الخطاب: التّحذير والتّذكير بعداوة الشّيطان للرّسول عليه الصّلاة والسّلام وللنّاس جميعا، كما كان من قبل عدوّا لآدم وزوجه.

السَّنن: مجموع القواعد الصّرفية والنّحوية والتّداولية المتضمّنة في هذا الموضوع الرّابع من سورة طه.

اِحتوت الآيات الآتية على قصّة من القصص القرآني، وهي قصّة خلق آدم عليه السّلام الّتي جرت أحداثها في الجنّة، وذلك في قوله تعالى: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آَدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (115) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116) فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (119)) طه-(115-119). وقد جاءت هذه القصّة بعد كلّ ما أوحي للنّبي عليه الصّلاة والسّلام " لِاستحبابه صلى الله عليه وسلّم الزّيادة من هذه القصص ذات العبرة رجاء أنّ قومه يفيقون من ضلالتهم".[1] فبعد الِانتهاء من نقل أحداث قصّة موسى عليه السّلام جاء التّذكير بقصّة آدم عليه السّلام للتّثبيت والتّوجيه نحو أخذ العبرة والموعظة

[1]- يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج16، ص318.

الحسنة، و" المراد بالعهد إلى آدم العهد إليه في الجنّة الّتي أنسي فيها؛ أي أهمل العمل بالعهد عمدا، حيث أنّه عزم على العمل بما وسوس إليه الشّيطان ولم يتردّد في ذلك".[1] وفي هذه القصّة تذكير آدم عليه السّلام بعداوة إبليس له ولزوجه، وتحذيره في ذات السّياق من الخضوع له فيصيبه بذلك الشّقاء في حياته؛ فمِن حسَده أبى أن يسجُد له واِستكبر عن طاعة أمر الخالق، ويتجلّى هذا في عدّة مواضع في القرآن تحكي قصّة آدم عليه السّلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34)﴾ البقرة(34). وفي قوله أيضا: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (61)﴾ الإسراء-(61). وفي جميعها إعراض إبليس عن السّجود لآدم عليه السّلام، والاِستهزاء والسّخرية من خلقته، وبالتّالي سيظلّ عدوّا لبني آدم جميعا هدفه إضلالهم، وبهذا كان جزاؤه جهنّم ومن اِتّبعه من الغاوين. كما بيّن المولى عزّ وجلّ لآدم عليه السّلام النّعم الّتي تحُفّه في الجنّة، ووعده بأنّه سيعيش أكمل وأجمل حياة " لا يُصيبه فيها جوع ولا عطش، ولا حرّ ولا شمس، ولا عُريّ ظاهر الجسم".[2] من سياق الآيات يُلاحظ أنّ الأفعال الكلامية الواردة هنا مباشرة (عهدنا/ فنسي/ لم نجد/ قُلنا/ اسجدوا/ فسجدوا/ أبى/ فلا يخرجنّكما/ فتشقى/ ألّا تجوع/ لا تعرى/ لا تظمأ/ لا تضحى)، محتواها القضوي التّقرير بعداوة إبليس لآدم عليه السّلام وبنيه، وبيان حياة النّعيم والخلود في الجنّة، قوّتها الإنجازية مباشرة تتضمّن الأمر الصّريح (اسجدوا)، والنّهي (فلا يُخرجنّكما)، والنّفي (لا تجوع/ لا تعرى/ لا تظمأ/ لا تضحى)، وغرضها الإنجازي التّذكير بعداوة إبليس لهذا الدّين منذ خلق آدم عليه السّلام، والتّحذير من كيده ووسوسته، ووعد آدم عليه السّلام بحسن الحياة في الجنّة.

تمكّن إبليس من غواية آدم وزوجه من خلال الوسوسة المستمرّة لهما، ويتجلّى ذلك في قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا

[1]- ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج16، ص319.

[2]- يُنظر: أبو الحسن علي بن فضال المجاشعي، النّكت في القرآن الكريم: في معاني القرآن الكريم وإعرابه، تحق: عبد الله عبد القادر الطّويل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2007، ص325.

سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)) طه-(120-124).

فكانت الوسوسة لهما بحثّهما على الأكل من شجرة الخلد الّتي نهاهما المولى عزّ وجلّ عن الإقتراب منها، حيث قال تعالى: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35)) البقرة-(35). وبالفعل إستطاع الإيقاع بهما في الخطأ؛ أي أنّه " بعد الوسوسة المستمرّة أكلا من الشّجرة الّتي حُرّمت عليهما، وبمجرّد الأكل منها بدت لهما عوراتهما، وأخذا يخصفان من ورق الجنّة جرّاء إستحيائهما من إنكشافهما".[1] وقد إجتباه ربّه وتاب عليه بتطهيره من العصيان، " إذ تاب هو بالشّعور بالخطأ، وعاد الله تعالى عليه بالمغفرة، ثمّ بالهداية بعد ذلك، وهذا المعنى يُشير إلى أنّ الخطأ في طبيعة الإنسان، والتّوبة خُلق المهديين والله تعالى غفور رحيم".[2] وبعد حصول الغواية لآدم وزوجه حُقّ عليهما العقاب من الله، فكان " خطاب الله لهما بالهبوط من الجنّة إلى الأرض، وفيه وعد حسن لمن إتّبع هدى الله، بأنّه لا يضلّ في الدّنيا ولا يشقى في الآخرة، وبالمقابل وعيد وإنذار بسوء العاقبة لكلّ من أعرض عن هدى الله، فله معيشة ضيّقة مكدّرة في الدّنيا؛ لا يرتاح له بال فيها، ويُحشر يوم القيامة أعمى البصر".[3] أفعال الكلام الواردة في هذه الآيات أفعال مباشرة (فوسوس/ قال/ أدُلّك/ لا يبلى/ فأكلا/ فبدت/ طفِقا/ يخصفان/ عصى/ غوى/ إجتباه/ فتاب/ وهدى/ إهبطا/ يأتينّكم/ إتّبع/ لا يضلّ/ لا يشقى/ أعرض)، يُفهم من السّياق أنّ محتواها القضوي تقرير وقوع آدم وزوجه في قبضة الشّيطان، وإجتباء المولى عزّ وجلّ لهما، والإنعام عليهما بالتّوبة والمغفرة والهداية، قوّتها الإنجازية مباشرة تتضمّن الإستفهام؛ الّذي مؤشّره (هل)، والنّفي من خلال الأداة (لا)، والأمر (إهبطا)، يتلخّص غرض الإنجاز في

[1]- يُنظر: محمد أحمد مصطفى أبو زهرة، زهرة التّفاسير، دار الفكر العربي، دط، دت، ص4801.

[2]- المرجع نفسه، ص4802.

[3]- يُنظر: أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، التّسهيل لعلوم التّنزيل، ج2، ص28.

تقرير وقوع آدم وزوجه في العصيان، والإقرار بتوبة الله عليهما، إضافة إلى الإنذار والتّحذير والوعيد لمن أعرض عن القرآن.

وفي قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (127)) طه-(125-127). أفعال كلامية مباشرة (قال/ لِمَ حشرتني/ أتتْك/ فنسيتها/ تُنسى/ نجزي/ أسرف/ لم يؤمن)، محتواها اِقتضاء بندم الكافر المعرض عن الله في الدّنيا وبيان حاله يوم القيامة، ووعيده بسوء العاقبة، " فمثلما أتتْه آياتنا واضحة مستنيرة فلم ينظر إليها بعين المؤمن المعتبر، فكذلك اليوم يُنسى ولا ننظر إليه وسيكون حسابه عسيرا، ومثل ذلك الجزاء نجزي من أسرف وأعرض عن آياتنا".[1] قوّة الإنجاز هنا مباشرة تتضمّن الاِستفهام (لم حشرتني)، والقسم (ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى)، ويكمن غرض الإنجاز في التّحسّر والنّدم والوعيد.

الموضوع الخامس: الاِعتبار بالأمم السّابقة وتوجيهات للنّبي عليه الصّلاة والسّلام لتثبيته أمام عناد المشركين، وإثبات البعث (الآيات128-135).

السّياق العام للآيات:

يُبيّن الحقّ سبحانه وتعالى في هذا الخطاب عاقبة الأمم السّابقة وكيف كان هلاك مشركي قريش الّذين لم يتفكّروا في قصصهم، بالرّغم من أنّهم يمشون ويمرّون على ديارهم ويرون آثارهم، وفي هذا تثبيت للنبيّ عليه الصّلاة والسّلام على كيد الكفّار وأذاهم، من خلال التّوجيهات والأوامر المقدّمة له؛ وهي كثرة الذّكر والتّسبيح؛ الّتي تتأتّى بالمحافظة على أداء العبادات في وقتها لنيل الأجر وتحقيق السّعادة والرّضا، وبالمقابل نهى المولى عزّ وجلّ رسوله

[1]- ينظر: أحمد بن يوسف المعروف بالسّمين الحلبي، الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، ج8، تحق: أحمد محمد الخرّاط، دار القلم، دمشق-سوريا، دط، دت، ص117.

الكريم عن الإعجاب بما متّع به الكفّار من متاع زائل، تأكيدا على أنّه اِمتحان وبلاء من الله لهم، كما تضمّنت هذه الآيات المباركة أيضا تأكيد البعث ليوم الحساب، والتّهويل من يوم القيامة وما يعتريه من أحداث وأهوال بُغية إيقاظ القلوب من غفلتها.

السّياق المقامي التّبليغي للآيات:

المعني بالخطاب في هذه الآيات هو الرّسول عليه الصّلاة والسّلام بِإعتباره مُبلّغ الخطاب القرآني، حيث يُبيّن المولى عزّ وجلّ فيها عاقبة الأمم السّابقة وما صاروا إليه من سوء حال نتيجة طغيانهم في كُفرهم وضلالهم، وفي هذا تنبيه للمشركين بالقرآن إلى الإِعتبار بهذه الأمم. كما يُقدّم المولى عزّ وجلّ مجموعة أوامر ونواه للنبي عليه الصّلاة والسّلام بُغية تثبيته على أذى الكفّار، ويعرض بعضا من أهوال البعث والقيامة، ويتجلّى السّياق المقامي التّبليغي لهذه الآيات فيما يلي:

المخاطِب: الله عزّ وجلّ.

المخاطَب: الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، المشركون بالقرآن.

المرجع: المشركون بالقرآن الكريم.

قناة التّبليغ: الخطاب القرآني.

موضوع الخطاب: تثبيت الرّسول عليه الصّلاة والسّلام على أذى الكفّار والمشركين، وإثبات يوم البعث والحساب.

السّنن: مجموع القواعد الصّرفية والنّحوية والتّداولية المتضمّنة في هذا الموضوع الخامس والأخير من سورة طه.

اِستُهلّت هذه الآيات ببيان عاقبة الأمم السّابقة، وفي هذا تذكير للمشركين بأنّ الخلود لله وحده، وتنبيه إلى التّفكّر في قصصهم وأخذ العبرة والموعظة الحسنة، حيث يقول تعالى: (أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (128) وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى (129)) طه-(128-129). وفي هذا اِستفهام مقتضاه بيان غفلة المشركين وإصرارهم على الكفر برغم ما قُصّ عليهم من أخبار القرون الماضية، " والمراد بالقرون عاد وثمود. فقد كان العرب يمرّون على ديارهم في رحلاتهم، وهم في حال غفلة عن هلاك تلك القرون، وفي هذا تعريض بالّذين لم يهتدوا بتلك الآيات بأنّهم عديموا العقول".[1] وإنذار لهم بأنّه سيحلّ بهم مثل مل حلّ بهذه القرون، فلا داعي لِاستعجال العذاب، " فالكلمة هنا المراد بها ما علمه الله من تأجيل حلول العذاب والهلاك بهم، فالله تعالى بحكمته لم يعجّل لقريش العذاب، لأنّه أراد أن ينشر الإسلام بمن يُؤمن منهم وبذرّياتهم، وفي ذلك كرامة للنبيّ عليه الصّلاة والسّلام بتيسير أسباب بقاء شرعه وانتشاره، لأنّه الشّريعة الخاتمة".[2] من السّياق نلاحظ ورود الأفعال الكلامية بشكل مباشر (أفلم يهْد/ أهلكنا/ يمشون/ سبقت/ كان)، محتواها القضوي بيان غفلة المشركين واِستمرارهم في طريق الضّلال وتأكيد سوء عاقبتهم، قوّتها الإنجازية مباشرة تتمثّل في الاِستفهام الإنكاري (أفلم يهْد)، وغرضها الإنجازي التّحذير والوعيد والإنذار.

وقد تلا ذلك تقديم أوامر وتوجيهات للنّبي عليه الصّلاة والسّلام من أجل توجيهه وتثبيته على الدّين الحقّ، وذلك في قوله تعالى: (فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (130) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (131) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ

[1]- يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج16، ص335.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص336.

وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132)) طه-(130-132). فسياق هذه الآيات أمر النّبي عليه الصّلاة والسّلام بالحرص على العبادة والذّكر بقدر ما يُحقّق اِنشراح صدره وراحة نفسه، عن طريق التّسبيح والذّكر في أوقات مخصوصة بالإجابة، وعدم الأخذ بما يقوله المشركون له، والصّبر على اِتّهاماتهم له بأنّه ساحر كذّاب، وتسليةً له صلّى الله عليه وسلّم بذكر ما مُتّع به أزواج المشركين من قُريش بزينة المال والبنون في الحياة الدّنيا، ونهيه عن الإعجاب بما أوتوه وأنّهم مفتونون به إلى يوم القيامة، والتّأكيد على أنّ رزق الله خير وأبقى. أفعال الكلام هنا مباشرة (فاِصبر/ يقولون/ سبّح/ فسبّح/ ترضى/ لا تمدّنّ/ متّعت/ لنفتنهم/ امُر/ اِصطبر/ نسألك/ نرزقك)، محتواها القضوي حثّ النّبي صلى الله عليه وسلّم على الاِجتهاد في العبادة وإخلاصها لله تعالى، وتسليته بما مُتّع به كفّار قريش وطمأنته على أنّ الدّوام لله، قوّة إنجاز هذه الأفعال مباشرة تتنوّع بين الأمر (فاِصبر/ سبّح/ فسبّح/ وامُر/ واِصطبر)، والنّهي؛ من خلال المؤشّر (لا)، وغرض إنجاز هذه الأفعال يكمُن في التّثبيت والتّوجيه والنّصح والتّسلية.

خُتمت السّورة بالتّنويه بشأن القرآن الكريم، وبيان عظيم منزلته، وذلك في قوله تعالى: (وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى (133) وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى (134) قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى (135)) طه-(133-135). وفي هذا تعجّب من تمادي المشركين في الكفر وقولهم " هلّا يأتينا بآية معجزة حسية من ربّه دالّة على صدق رسالته، كآيات الأنبياء السّابقين مثل: ناقة صالح، وعصا موسى، فكان الردّ عليهم من الله بأَلَم تصلهم أخبار الصّحف الأولى كصحف إبراهيم وموسى، والتّوراة والإنجيل الّتي فيها التّصريح بنبوّته، وبيان أحوال الأمم الّتي أهلكت بتكذيب الرّسل وهم معترفون بصحّتها".[1] الأفعال الكلامية الواردة في هذه الآيات أفعال مباشرة (وقالوا/ يأتينا/ تأتهم/ أهلكناهم/ أرسلت/ فنتّبع/ نذلّ/

[1]- وهبة الزّحيلي، التّفسير الوجيز على هامش القرآن العظيم: ومعه أسباب النّزول وقواعد التّرتيل، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط2، 1996، ص322.

نخزى/ فتربّصوا/ فستعلمون/ اِهتدى)، محتواها القضوي وعيد المشركين والكافرين بالله بأنّه سيكون يوم للبعث والحساب لا مردّ له لا يعلمه إلّا هو وهناك سيُجزى كلّ إنسان بما عمل، قوّة إنجاز هذه الأفعال مباشرة منها الاِستفهام (أو لم تأتهم)، والأمر (فتربّصوا)، وغرضها الإنجازي التّحذير والوعيد.

المطلب الثاني: دلالات الاِستلزام الحواريّ في السّورة

لا يُفصح الخطاب القرآنيّ في كُلّ آياته عن معانٍ مباشرة، حيث ترتقي المدلولات إلى آفاق البيان المعجز، بمُختلف أدوات الصّياغة اللّغوية الصّرفية، والنّحوية، والبلاغيّة فتتجلّى في نظم مُتكامل لا حدود له من كمال الإعجاز، وعُمق المعاني، وبُعد الإيحاءات، وسُموّ الغايات.

والملاحظ من خلال التّحليل التّداولي السّابق لهذه السّورة (طه) أنّ معظم الأفعال الكلامية الواردة فيها إنجازية مباشرة صريحة، لكن هذا لا يعني بالضّرورة خُلوّ السّورة خُلوًّا تامًّا من الأفعال غير المباشرة الّتي يكون معناها مضمّن أو مُستلزم لا يُفهم إلّا من سياق الآيات الواردة فيها.

وتتجلّى دلالات الاِستلزام الحواري الواردة في هذه السّورة، فيما يأتي:

1- التّسخير:

ورد التّسخير في مطلع السّورة، من خلال قوله تعالى: (طه (1)) طه-(1). والّذي لم يأتِ بشكل مُباشر عن طريق أسلوب الأمر الّذي جاء في معظم السّورة أمرًا صريحًا مباشرًا تتعدّد أغراضه بتنوّع السّياقات الوارد فيها، حيث كان في شكل توجيهات وأوامر للرّسول عليه الصّلاة والسّلام. ومن خلال العودة إلى سياق الآية الكريمة؛ وهو مُضايقة المشركين لنبيّ الله لما رأوه فيه من تفطّر قدميه نتيجة كثرة اِجتهاده في أداء العبادات (الصّلاة والقيام)، جاءت هذه الآية كأمر غير مباشر (ضمني) للنّبيّ عليه الصّلاة والسّلام بأن يطأ الأرض بقدميه معًا

للتّخفيف عنه، وتسخير الأرض له، وتأكيد على أنّ الإسلام دين يُسر، وأنّ القرآن الكريم منهج سعادة وراحة لا منهج تعب وشقاء.

2- التّقرير:

جاء التّقرير مضمّنا في ثلاثة مواضع، هي:

أ-قال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (6)﴾ طه-(6). من خلال سياق الآية الكريمة المتمثّل في بيان سعة ملك الله عزّ وجلّ وعظيم سُلطانه كردّ على المشركين الّذين أبوا الإعتراف بقدرته تعالى، يتبيّن أنّ مقصد المتكلّم في الآية إثبات الملكية لله، والمتلقّي يستدلّ على ملك الله لكلّ شيء بذكر بعض المخلوقات.

ب- وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (8)﴾ طه-(8). جاءت هذه الآية ضمن سياق إعراض المشركين عن توحيد الخالق، والإعتراف بأسمائه وصفاته العلى، فكانت ها هنا تأكيدًا وإقرارًا بوحدانية الخالق عزّ وجلّ الّذي إستُدلّ هنا على وحدانيته بالإشارة إلى أسمائه الحسنى الّتي ينفرد بها عن مشابهة المخلوقين.

ج- وفي قوله أيضا: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14)﴾ طه-(14). تأكيد وإقرار بإنفراد الخالق العظيم بوحدانيته، وإستحقاقه العبادة وحده دون أيّ أحد غيره، فمقصد الخطاب هنا الردّ على المشركين الّذين إتّخذوا غير الله للعبادة.

3- التّنبيه:

من خلال قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17)﴾ طه-(17). الإستفهام المجازي الوارد في سياق الآية يتضمّن سؤال المولى عزّ وجلّ عمّا يحمله موسى عليه السّلام، بغية تطمينه والتّهدئة من روعه، والأهمّ من ذلك مقصد المتكلّم هنا (الله) تنبيه المتلقّي (موسى) إلى ما سيوحى إليه؛ أي الإستماع والأخذ بما يوحى إليه.

4- الدّعاء:

ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32)﴾ طه-(25-32). فبعد أمر المولى عزّ وجلّ موسى عليه السّلام بالذّهاب إلى فرعون بُغية إيصال الرّسالة له، ودعوته إلى الإيمان بالله وحده، توجّه موسى نحو ربّه بالدّعاء والطّلب منه أن يشرح له صدره، ويُسهّل عليه أمر الدّعوة؛ بتخليصه من عُقدة لسانه، وإرسال هارون معه لإعانته في التّبليغ. وقد جاء هذا الدّعاء بصيغة الأمر؛ وهو أمر غير حقيقي لأنّه جاء من الأقلّ مرتبة إلى الأعلى مرتبة، حيث أنّه لا يُمكن للمخلوق (موسى عليه السّلام) أمر الخالق بفعل أيّ شيء كان، وإنّما جاء الأمر هنا متضمّنا معنى الدّعاء والطّلب.

وكان الغرض من هذا الطّلب والدّعاء هو إفراد الله عزّ وجلّ بالذّكر والتّسبيح الكثير من أجل التّقرّب إليه، ويظهر ذلك جليّا في قوله تعالى: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (35)﴾ طه-(33-35).

الملاحظ إذن حضور الأفعال الكلامية غير المباشرة بشكل ضئيل، ذلك لأنّ معظم آيات السّورة خطابات مُباشرة تجمع بين الخبر والإنشاء، وتتنوّع صيغُها بين الأمر والنّهي والإستفهام، وغيرها، وهذا ما جعل دلالات الإستلزام تقلّ نوعًا ما في هذه السّورة.

المطلب الثالث: الأفعال الكلامية في سورة طه وفق تقسيمات "سيرل"

تنوّعت الأفعال الكلامية الواردة في السّورة وإختلفت أصنافها، حيث جمعت بين المباشرة وغير المباشرة منها، ويرجع هذا الإختلاف إلى تنوّع المواضيع والسّياقات الواردة في السّورة؛ فما إن يتغيّر الخطاب القرآنيّ وظروف المقام تتغيّر بالضّرورة طبيعة الأفعال الكلامية المصاحبة له. ويمكن تصنيف الأفعال الكلامية في هذه السّورة وفق التّقسيمات الّتي جاء بها "سيرل" وفق ما يأتي:

1- التّوجيهيات:

تقضي بتوجيه المخاطَب إلى فعل أشياء، أو الإلتزام بأمور ما، وأهم ما يمثّلها هنا: الإستفهام، والأمر، والنهي، حيث جمعت بين أغراض مختلفة، أهمها: العبرة والتشويق ، التحقيق، التوجيه والإرشاد، التهكم، والتهديد.

ومن الآيات التي ورد فيها هذا الصنف من أفعال الكلام، ما يلي:

أ-الإستفهام: جاء في الآيات التالية: 9- 17- 40- 49- 51- 57- 71- 83- 89- 92- 93- 95- 120- 128- 125- 133.

ب-الأمر: الآيات الوارد فيها، هي: 1- 10- 12- 13- 14- 17- 21- 22- 24- 39- 42- 43- 44- 47- 54- 58- 64- 66- 69- 72- 77- 81- 90- 97- 114- 116- 123- 130- 132- 135.

ج-النهي: تجلّى في الآيات الآتية: 16- 21- 42- 46- 47- 58- 61- 68- 81- 94- 114- 131.

2- الإلزاميات:

غرضها اِلتزام المخاطِب بفعل شيء في المستقبل، أبرز الأغراض التي حققتها: الوعد والإكرام والوعيد، التحذير، والإنذار.

الآيات التي ورد فيها هذا النوع من الأفعال الكلامية، هي: 15- 21- 18- 36- 39- 40- 46- 47- 48- 55- 58- 59- 61- 64- 68- 69- 71- 74- 75- 76- 77- 81- 82- 86- 97- 100- 101- 112- 118- 119- 123- 124- 126- 127- 135.

3- الإخباريات:

جمعت بين الإخبار و الوصف لبيان مجموعة من الأغراض، أهمها: التقرير والتحذير، التسخير، التذكير و التثبيت، النّصح و التوجيه.

جاءت هذه الأفعال الكلامية في الآيات التالية: 4- 5- 6- 7- 13- 18- 36- 37- 38- 40- 45- 47- 48- 50- 52- 53- 55- 60- 65- 73- 76- 79- 80- 99- 105- 110- 111- 113- 115- 120- 121- 122- 125- 126- 128.

4- التعبيريات:

محتواها التّعبير عن المواقف و الحالات النّفسية للمتخاطِبين، أهم الأغراض التي جاءت بها ما يلي: التذكير والتثبيت، التفكّر، الدعاء، النّصح و التوجيه.

ورد هذا الصنف من أفعال الكلام في الآيات التالية: 2- 3- 7- 21- 25- 39- 40- 42- 44- 45- 62- 67- 77- 79- 84- 86- 90- 94.

5- الإعلانيات:

مهمّتها الإعلان عن إنجاز أفعال ما، أهم الأغراض التي جاءت بها: التذكير والوعد، التّهكم، التعجب واللوم.

أبرز الآيات التي وردت فيها هذه الأفعال: 13- 21- 22- 36- 39- 41- 66- 67- 69- 70- 79- 85- 86- 122- 126.

الملاحظ ممّا سبق تنوُّع وتعدّد وجوه الصّياغة اللّغوية على صعيد السّياق القرآني؛ ذلك أنّ الخطاب القرآنيّ يجمع بين أساليب لُغوية مختلفة مُشكّلًا إيّاها في قالب لُغويّ واحد بليغ مُعجز في لفظه ومعناه، ففي هذه السّورة (طه) اِختلفت الأساليب اللّغوية الّتي أنجزت ضمنها الأفعال الكلامية، فمنها: (الأمر، النّهي، الاِستفهام، النّداء، النّفي...)، وتنوّعت الأغراض الّتي حملتها في سياقاتها من مثل: (التّحقيق، التّقرير، التّحذير، الوعيد...).

وأبرز صنف من أفعال الكلام وأكثرها حُضورًا في سورة (طه) هو التّوجيهيات؛ ذلك أنّ أغلب السّورة جاءت في شكل أوامر وتوجيهات، تليها الإلزاميات فالإخباريات، ثمّ التّعبيريات فالإعلانيات الأقلّ حُضورًا. وكانت جميع هذه الأفعال مكمّلة لبعضها البعض حيث شكّلت السّورة خطابًا دقيقًا مُحكمًا، يتميّز بفصاحة ألفاظه، وترابُط سياقاته، ودقّة معانيه.

خاتمـــــة

اِهتمت التّداوليّة بدراسة اللّغة في الاِستعمال؛ أي مُعالجة اللّغة في تجلّياتها الحيّة من خلال تداوُلها بين طرفي الخطاب (المخاطِب/ المخاطَب) مع التّركيز على عنصر السّياق وما يتّصل به من عوامل ، في مُحاولة للكشف عن الخصائص الخطابية المشكّلة لمختلف الأداءات الكلامية الّتي تُحقّق التّواصل، ويقوم هذا الاِتّجاه اللّغوي الحديث على مجموعة من المباحث والمحاور الرئيسية الّتي تعدّ النّواة المركزية لمختلف الأبحاث والدّراسات التّداولية، والّتي أهمّها وأبرزها على الإطلاق نظريّة أفعال الكلام العامّة الّتي ينصبّ مجال اِشتغالها على البحث فيما يفعله المتكلّمون باللّغة من إنجاز، وتأثير، وإبلاغ، مع مراعاة السّياق ومقصد المخاطِب وقدرة متلقّي الخطاب على فهم ما يقصده المتكلّم وتجاوبه معه.

وفي ضوء ما سبق يمكن أن نشير إلى أبرز النّتائج الّتي خرجنا بها في هذا البحث في النّقاط الآتية:

-تمثّل التّداولية منهجا لُغويا حديثا يُعنى بدراسة الاِستخدام اللّغوي، عن طريق التّركيز على جميع العناصر الّتي تحكم الخطاب (المتكلّم/ المتلقّي/ الظروف الخارجية لإنتاج الأقوال؛ أي السّياق وما يتّصل به من مُؤشّرات تُساهم في تحقيق التّواصل).

-يُعدّ مفهوم السّياق مفهومًا محوريا في الدّراسات التّداولية، نظرًا لدوره الفعّال في تحقيق نجاح عملية التّواصل، من خلال الكشف عن المقاصد.

-تميّزت التّداولية بنشأة ثريّة؛ إذ إنّها اِستمدّت مباحثها من مجموعة من العلوم العلمية والمعرفية من مثل: (الفلسفة التّحليلية، اللّسانيات، السّيمياء...).

-يقوم البحث التّداولي على دراسة خمسة مباحث رئيسية، هي: (الإشاريات/ نظرية أفعال الكلام العامّة/ الاِستلزام الحواريّ/ الاِفتراض المسبق/ الحجاج).

-تُشكّل التّداولية ملتقى طرق غنيّ، كونها تجمع بين العديد من العلوم العلمية والمعرفية الّتي تتّصل باللّغة أساسا وتتداخل معها، وهذا ما جعل مجالاتها تتّسع وتتنوّع.

-إستطاع التّوجّه التّداولي بمختلف نظرياته أن يفتح آفاقًا جديدة تُمكّن من تحليل مختلف الخطابات والوقوف على مكنوناتها كونها سلسلة من الأفعال الكلامية، في ظلّ عجز النّظريات البنيوية عن الوصول إلى معرفة مكنونات مختلف الخطابات، نظرًا لقصور معالجاتها، وإكتفائها بحصر دراسة اللّغة في الكشف عن المكوّنات الشّكلية للبنية اللّغوية.

-تعتبر اللّغة حسب نظرية أفعال الكلام مجموع إنجازات قولية مختلفة.

-ظهرت نظرية أفعال الكلام وإزدهرت مع مؤسّسيها فيلسوفا اللّغة "أوستن" و "سيرل"، حيث إستطاع "أوستن" أن يضع نقطة إنطلاق هامّة مكّنت من رسم المعالم والأسس الأوليّة لهذه النّظرية، الّتي أتمّها وجسّدها في نظريّة لغوية متكاملة الأركان تلميذه "سيرل".

-تجلّت نظرية أفعال الكلام العامّة في الخبر والإنشاء عند علماء العرب القدامى، حيث إعتمدوا في معالجاتهم على إختلافها (نحوية/ أصولية/ بلاغية) على أسس تداولية محضة، يركّز الدّرس التّداولي الحديث على دراستها والعناية بها.

-تنوّع الخطاب القرآني في سورة (طه) بين الخبر والإنشاء؛ وقد غلب الأسلوب الإنشائي عليها.

-غلب على سورة (طه) الأفعال الكلامية المباشرة.

-تُستخلص الأغراض الإنجازية للأفعال الكلامية الواردة في سورة (طه) من السّياق القرآنيّ وحده.

-إحتوت سورة (طه) على جميع أصناف الأفعال الكلامية (الإلزاميات/ التّوجيهيات/ الإخباريات/ السّلوكيات/ الإعلانيات)، لكنّها تختلف من حيث قوّة ورودها.

ملحـــــق

سورة طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه (1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (3) تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا (4) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (6) وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (8) وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (9) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (16) وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (19) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (20) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (21) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (22) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (23) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (24) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (35) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (36) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (37) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (40) وَاصْطَنَعْتُكَ

لِنَفْسِي (41) اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (48) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (51) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (53) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (54) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55) وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (56) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (57) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (58) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (59) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (60) قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (61) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى (62) قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (63) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (64) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (65) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (66) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (67) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (68) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (70) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (71) قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ

قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (73) إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا (74) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا (75) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (76) وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى (77) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (78) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (79) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى (80) كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى (81) وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (82) وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (83) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (84) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (85) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (86) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (87) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (88) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (89) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (90) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (91) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (93) قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (95) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (96) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (97) إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ

كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (98) كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (99) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (100) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (101) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (102) يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (103) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (104) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (106) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (107) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (108) يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (109) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (110) وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (111) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (112) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (113) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114) وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (115) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (119) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (127) أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي

ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (128) وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى (129) فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (130) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (131) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132) وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى (133) وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى (134) قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى (135)

قائمـــة
المصادر
المراجع

-القرآن الكريم (رواية حفص).

قائمة المصادر والمراجع:

1-أحمد بن يوسف المعروف بالسّمين الحلبيّ، الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، ج8، تع: أحمد محمد الخرّاط، دار القلم، دمشق- سوريا، د ط، د ت.

2-أحمد فهد صالح شاهين، النّظرية التّداولية وأثرها في الدّراسات النّحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 2015.

3-أحمد مصطفى المراغى، تفسير المراغى، ج16، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبيّ وأولاده، مصر، ط1، 1946.

4-أحمد مومن، اللّسانيات النّشأة والتّطوّر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون- الجزئر، ط2، 2005.

5-إدريس مقبول، الأفق التّداولي: نظريّة المعنى والسّياق في الممارسة التّراثية العربية، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 2011.

6-إلفي بولان، المقاربة التّداولية للأدب، تر: سعيد علّوش، مركز الإنماء القومي، د ط، د ت.

7-آن روبول وجاك موشلار، التّداولية اليوم علم جديد في التّواصل، تر: سيف الدّين دغفوس ومحمّد الشّيباني، مرا: لطيف زيتوني، المنظّمة العربية للتّرجمة، بيروت- لبنان، ط1، 2003.

8-برهان الدّين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، ج12، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة- مصر، د ط، د ت.

9-بشير إبرير، تعليمية النّصوص بين النّظرية والتّطبيق، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، د ط، 2007.

10-بهاء الدّين محمد مزيد، من أفعال اللّغة إلى بلاغة الخطاب السّياسي: تبسيط التّداولية، دار شمس، القاهرة- مصر، ط1، 2010.

11-جاك موشلر وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتّداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدّين المجدوب، مرا: خالد ميلاد، دار سيناترا، تونس، د ط، 2010.

12-جلال الدّين الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د ط، د ت.

13-جلال الدّين سعيد، معجم المصطلحات والشّواهد الفلسفيّة، دار الجنوب للنّشر، تونس، د ط، د ت.

14-جلال الدّين السّيوطي، الدّرّ المنثور في التّفسير بالمأثور، ج10، تحق: عبد الله بن عبد المحسن التّركي بالتّعاون مع عبد السّند حسن يمامة، مركز هجر للبحوث والدّراسات العربية الإسلامية، القاهرة- مصر، ط1، 2003.

15-جواد ختام، التّداولية أصولها واتّجاهاتها، كنوز المعرفة، عمان- الأردن، ط1، 2016.

16-جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة: (الفلاسفة- المناطقة- المتكلّمون- اللاّهوتيون- المتصوّفون)، دار الطّليعة، بيروت- لبنان، ط3، 2006.

17-جورج يول، التّداولية، تر: قصي العتابي، الدّار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، ط1، 2010.

18-جون سوان وآنا ديوميرث وآخرون، معجم اللّغويات الإجتماعية، تر: محمد الراشد العبد الحق وعبد الرحمن حسني أحمد أبو ملحم، دار وُجوه، الرياض- السّعودية، ط1، 2019.

19-جون سيرل، اللّغة والعقل والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي، تر: سعيد الغانمي، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2006.

20-جون لانكشو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامّة: كيف نُنجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب، د ط، 1991.

21-جيرالد برنس، قاموس السّرديات، تر: السّيد إمام، دار ميريت للنّشر والمعلومات، القاهرة- مصر، ط1، 2003.

22-الجيلالي دلّاش، مدخل إلى اللّسانيات التّداولية: لطلبة معاهد اللّغة العربية وآدابها، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات المركزية، بن عكنون- الجزائر، د ط، د ت.

23-حافظ إسماعيلي علوي، التّداوليات علم اِستعمال اللّغة، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط2، 2014.

24-حافظ إسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي، أسئلة اللّغة أسئلة اللّسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، ط1، 2009.

25-أبو الحسن علي بن فضال المجاشعي، النّكت في القرآن الكريم: في معاني القرآن الكريم وإعرابه، تحق: عبد الله عبد القادر الطّويل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2007.

26-أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، النّكت والعيون: تفسير الماوردي، تع ومرا: السّيد عبد المقصود بن عبد الرّحيم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د ط، د ت.

27-أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللّغة، ج1، تحق: إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2، 2008.

28-حكمت بن ياسين، التّفسير الصّحيح: موسوعة الصّحيح المسبور من التّفسير بالمأثور، مج3، دار المآثر، المدينة النّبوية، ط1، 1999.

29-حمّادي صمّود، أهم نظريات الحجاج في التّقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، الهيئة العامّة لمكتبة الإسكندرية، القاهرة- مصر، د ط، د ت.

30-حمّو النّقاري، التّحاجُج طبيعته ومجالاته ووظائفه، سور الأزبكية، الدار البيضاء- المغرب، ط1، 2006.

31-خليفة بوجادي، في اللّسانيات التّداولية: مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009.

32-خليفة الميساوي، المصطلح اللّساني وتأسيس المفهوم، دار الأمان، الرّباط- المغرب، ط1، 2013.

33-الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين: معجم لغوي تُراثي، تر ومرا: داود سلّوم وداود سلمان العنبكي وإنعام داود سلّوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط1، 2004.

34-دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، ط1، 2008.

35-روبرت شولز، السّيمياء والتّأويل، تر: سعيد الغانمي، المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر، د ط، د ت.

36-شحدة فارع وآخرون، مقدّمة في اللّغويات المعاصرة، دار وائل، عمان- الأردن، ط4، 2008.

37-صابر محمود الحباشة، الأسلوبية والتّداولية: مدخل لتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 2011.

38-صلاح إسماعيل عبد الحق، التّحليل اللّغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التّنوير، بيروت- لبنان، ط1، 1993.

39-صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، دار الكتاب المصري، القاهرة- مصر، ط1، 2004.

40-طالب سيّد هاشم الطّبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللّغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، د ط، 1994.

41-عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثّعالبي المالكي، تفسير الثّعالبي: المسمّى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج4، تحق وإخراج: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود بمشاركة عبد الفتّاح أبو سنّة، دار إحياء التّراث العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1997.

42-أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: والمبيّن لما تضمّنه من السّنّة وآي الفرقان، ج14، تحق: عبد الله بن عبد المحسن التّركي بمشاركة رضوان عرقسوسي وماهر حبّوش، مؤسّسة الرّسالة، بيروت- لبنان، ط1، 2006.

43-علي محمود حجي الصّراف، في البراجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ط1، 2010.

44-عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة: مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، الدّار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، ط1، 2009.

45-غسّان حمدون، تفسير من نسمات القرآن: كلمات وبيان، مرا وتق: جميل غازي وآخرون، دار السّلام، سوريا، ط2، 1986.

46-فرانسواز أرمينكو، المقاربة التّداولية، تر: سعيد علّوش، مركز الإنماء القومي، د ط، د ت.

47-فولفجانج هاينه مان وديتر فيهجر، مدخل إلى علم لغة النّص، تر وتع: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة- مصر، ط1، 2004.

48-فيليب بلانشيه، التّداولية من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، ط1، 2007.

49-أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزّمخشري الخوارزمي، أساس البلاغة، تحق: مزيد نعيم وشوقي المعرّي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط1، 1998.

50-أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزّمخشري الخوارزمي، النّصف الثّاني من الكشّاف عن حقائق التّنزيل، تصحيح: وليم ناصر ليس الإيرلندي والمواوي خادم حسين والمواوي عبد الحيّ، دار الإمارة، د ط، 1859.

51-أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبيّ، التّسهيل لعلوم التّنزيل، ج2، ضبط وتصحيح وإخراج: أحمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1995.

52-كارل ديتربونتنج، المدخل إلى علم لغة النّص، تر وتع: سعيد حسن بحيري، مؤسّسة المختار، القاهرة- مصر، ط1، 2003.

53-محمد أحمد مصطفى أبو زهرة، زهرة التّفاسير، دار الفكر العربي، د ط، د ت.

54-محمد ربيع، البلاغة العربية، دار الفكر، عمان- الأردن، ط1، 2007.

55-محمد الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج16، الدّار التونسية للنّشر، تونس، د ط، 1984.

56-أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، تحق: عبد السّلام عبد الشّافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2001.

57-محمد محمد يونس علي، مقدّمة في علمي الدّلالة والتّخاطب، دار الكتاب الجديدة المتّحدة، بيروت- لبنان، ط1، 2010.

58-محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، د ط، 2002.

59-محمود عكاشة، النّظرية البراجماتية اللّسانية (التّداولية): دراسة المفاهيم والنّشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ط1، 2013.

60-مرتضى جبّار كاظم، اللّسانيات التّداولية في الخطاب القانوني: قراءة إستكشافية للتّفكير التّداولي عند القانونيّين، منشورات ضفاف، بيروت- لبنان، ط1، 2015.

61-مسعود صحراوي، التّداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التّراث اللّساني العربي، دار الطّليعة، بيروت- لبنان، ط1، 2005.

62-ناصر الدّين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشّيرازي الشّافعي البيضاوي، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: المعروف بتفسير البيضاوي، ج4، إعداد وتق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط1، د ت.

63-نعمان بوقرة، الخطاب الأدبي ورهانات التّأويل: قراءة نصية حجاجية، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 2012.

64-نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدارا للكتاب العالمي، عمان- الأردن، ط1، 2009.

65-وهبة الزحيلي، التّفسير الوجيز على هامش القرآن العظيم، دار الفكر، دمشق- سوريا، د ط، د ت.

66-أبو هلال العسكري، كتاب الصّناعتين: الكتابة والشّعر، تحق: علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، د ط، 1986.

67-أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد السّكاكي، مفتاح العلوم، تع: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1983.

المجلّات:

1-بلقاسم حمّام، فكرة المقام في النّحو العربي، مجلّة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع11، ماي 2007.

فهرس المحتويـــات

المحتـــوى	الصفحة
مقدمة	
الفصل الأول: مفاهيم التداولية وأسسها	
المبحث الأول: التداولية بين المفهوم والنّشأة	6
المطلب الأول: تعريفها (لغة-اِصطلاحا)	6
المطلب الثاني: نشأتها وتطوّرها	10
المطلب الثالث: موضوعها وأهميتها	16
المبحث الثاني: التداولية (نظرياتها، درجاتها، وعلاقتها بالعلوم الأخرى)	20
المطلب الأول: مباحث التداولية	20
المطلب الثاني: العلاقات التخاطبية في استعمال اللغة	25
المطلب الثالث: علاقة التداولية بالعلوم الأخرى	28
الفصل الثاني: نظرية أفعال الكلام	
المبحث الأول: نظرية أفعال الكلام (مفهومها، نشأتها، وأنواعها)	35
المطلب الأول: مفهوم أفعال الكلام	36
المطلب الثاني: نشأتها وتطوّرها	37
المطلب الثالث: أنواع الأفعال الكلامية	40
المبحث الثاني: نظرية الأفعال الكلامية عند الغرب والعرب	44
المطلب الأول: تأصيل أوستن	44
المطلب الثاني: مساهمة سيرل ومن بعده	50
المطلب الثالث: ملامح الأفعال الكلامية في التراث العربي	59
الفصل الثالث: دراسة تطبيقية لظاهرة الأفعال الكلامية في سورة (طه)	
المبحث الأول: في رحاب السورة	64
المطلب الأول: التعريف بالسورة	64
المطلب الثاني: التسمية والفضل	65
المطلب الثالث: الأغراض والقصص الواردة في السورة	66
المطلب الرابع: السّياق المقامي التّبليغي العام لسورة (طه)	70
المبحث الثاني: تجلّيات الفعل الكلامي في سورة (طه)	72

المطلب الأول: مؤشرات الفعل الإنجازي حسب مواضيع السورة	**72**
المطلب الثاني: دلالات الإستلزام الحواري في السورة	**116**
المطلب الثالث: الأفعال الكلامية في سورة (طه) وفق تقسيمات (سيرل)	**119**
خاتمة	**123**
ملحق	**126**
قائمة المصادر والمراجع	**132**
فهرس المحتويات	**140**